

هجرة سراق

جمال شاهين

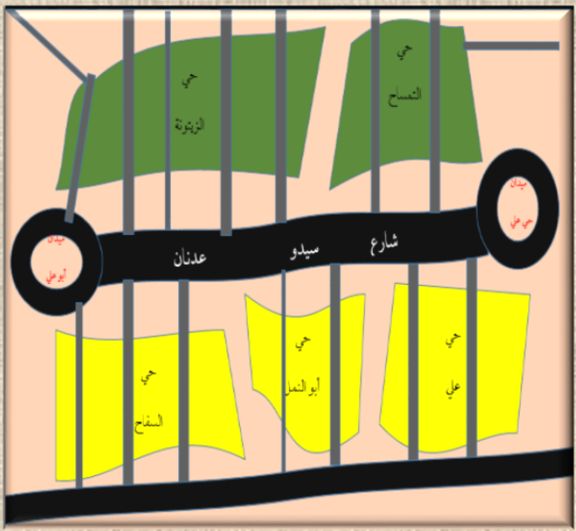
منشورات مكتبتي الخاصة

الروايات الاجتماعية

٢٦

جمال شاهين

٢٠٢٥



هجرة سراق

١١

منشورات مكتبتي الخاصة

١٤٤٧- ٢٠٢٥

هجرة سراق

جمال شاهين

قسم الروايات الاجتماعية ٩



١١

أول مرة رأيته كانت في الملهى الليلي حيث أذهب مع شقيقتي فيروز لبيع المخدرات وممارسة الفاحشة رأيته يتقرب لأختي كأي رجل تعجبه فتاة تسهر وتسكر ثم علمت أن أخته فتاة ملهى وليل حيث نلهو ، ثم علمت وكلي دهشة من فيروز انه لا يعلم وظيفة شقيقته في الملهى ، وحدثت سرقة ذات ليلة فطرد خرزة من الملهى متهما بها ، ثم تكشفت أسرار الملهى له ، فلم يتأثر كثيرا باخبار اخته الماجنة كما حصل معي ، ثم حدث أن انتحرت أختي فيروز في جوف الملهى والنادي الليلي غير مأسوف عليها ، والأشد أن شقيقة خرزة انتهى عملها السيء في النادي كأي فتاة ملهى فلم تتقبل الأمر كما تقبلته فيروز فقتلت من استغلها كزوج أمام الناس وقتلت مالك النادي معه .. فهاجر خرزة الى أوروبا وانقطعت أخباره ثم التقيت شقيقته الصغرى عن وصية منه حيث تركت ابن خالها فتزوجتها وسعدت بها ... سبحان



جمال شاهين

هجرة سراق

خرزة

محل أمين لبيع المواد والأدوات الكهربائية الخاصة للمباني والعمارات من أسلاك كهربائية ومفاتيح وأباريز ولوحات كهربائية منزلية يطل على الشارع الرئيسي شارع سيدو عدنان من جهة حي الزيتونة ، يقع المكان بين شارعين فرعيين ، وهو محل واسع ، تجد فيه كل ما يلزم البيت من أدوات كهربائية من مصابيح بأشكال مختلفة ، أجراس متنوعة ، وكان المحل أيضا غير بيع مثل هذه الأشياء يقوم بالتمديدات الكهربائية للمنازل والعمارات ، فيعمل معه فريق كبير من أهل الصنعة يزودهم بالمواد الخاصة بهذه المهنة الفنية ، فكان الشقيق الأصغر لأمين يقوم بنقل العمال بعد تجمعهم أمام المحل كل صباح بتوزيعهم على الورشات اثنين اثنين ، ممكن مجموعة مكونة من ثلاث أو أربعة حسب حجم الورشة ، وكم تحتاج من عمال معلمين ومساعديهم ، وفي المساء يبدأ بجمعهم حسب البعد والقرب من المحل ، والعمل يمتد طول الأسبوع والأجرة تختلف من مساعد إلى معلم مهنة ، وحتى يومية المعلمين مختلفة عن بعضهم وعن طول عملهم معه ، ويكون الحساب كل نهاية أسبوع عمل أي مساء الخميس .



كان خرزة بعد فشله في المدرسة ووصل الصف التاسع أحدهم ، أخذه خاله عوني إلى المعلم أمين ليعمل عاملا مع معلميه ؛ ليتعلم صنعة يعتاش منها في الأيام المقبلة ، ذهب خرزة إلى العمل ؛ فكانت أمه توقظه صباح كل يوم ليمشي لمحل أمين فهو من سكان شارع الجزائر ، وهو الذكر الوحيد لوالديه ، كانت أخته ريحانة تكبره بعام ونصف واخته مليكة تصغره بمثل ذلك ، كان والدهم عجيلي فاسد الأخلاق يعمل عتالا في سوق كبير في قلب المدينة ، وقبل العودة للبيت مشيا على الأقدام يتعاطى الخمر من خمارة في طريقه فيصل البيت فاقد الوعي من السكر ، فيفتعل مشكلة مع زوجته واهل البيت حتى انه تسبب ذات مرة بفقدها عينها وتعرض للضرب والأذى من الأبناء ومن الخال عوني حتى انه

بعدها لم يعد يستطيع الكلام معها بطلب الطعام ، ويطلبه من ريحانة ابنة الثانوية العامة .

كان خرزة يحب السرقة من أيام الابتدائية عندما يرى قلما أو براية جميلة أو كراسة كتابة جميلة مع طالب مثله يختلسها من شنطة رفيقه ، ثم عرف ذلك عنه ؛ فكان كل من يفتقد دفترا كتابا قلما محاية علبة هندسة يقوم المعلم بتفتيش حقيبة خرزة ابتداء ؛ فكان بعض لصوص الأطفال



يستغلون سمعة خرزة ويسرقون أغراض التلاميذ ليتهم خرزة بها ، وكان يسرق أحيانا بعض أطعمتهم التي تحضرها لهم أمهاتهم ، فيقطع قطعة منها خلسة ، حتى كان بعضهم يسميه خرزة الحرامي ، كانت في نهاية شارع الجزائر مدارس ؛ حيث بيت أسرة عجيلي والد ريحانة حتى أن الكثير من أهل الحي أو الشارع يطلقون عليه أبا ريحانة اسم ابنته الكبرى بدلا من نعته باسم ابنه الذكر ، كانت في نهاية الشارع مدرستان حكوميتان متقابلتان لهما نفس الجسم والهيكل العمراني ، وكلاهما تطل على نفس الشارع واحدة منهما للذكور وأخرى للإناث، وفيهما التعليم من الأول حتى التاسع المرحلة الأساسية والمتوسطة ، فلذلك من بداية الشارع حتى نهايته تجد فيه مختلطا من الجنسين يتغامزون ويستعرضون خيالاتهم وبطولاتهم الوهمية أمام الفتيات ، وترى تبادل الرسائل العاطفية وأشرطة الأغاني الغرامية تتناقل بينهم ، وترى الفتيان يدخنون لإثبات رجولتهم وانهم أحرار وكبار ، وكان أصحاب البقالات المجاورة للمدرسة تبيع الأطفال والمراهقين السجائر المتنوعة بالسيجارة والاثنتين دون وازع إيماني بما يلحقهم من ضرر أو تعلق به في المستقبل ، فكان خرزة كغيره يصاحب تلك الفتاة ، ثم يتركها بعد لقاء أو لقائين أو هي تتركه ، وتجد اكرم منه ولسانا افضل من لسانه ، فهن قد بلغن مرحلة الحيض في السنوات الإعدادية ؛ فكان يضطر لسرقة البقالات والاحتيال لتأمين نفقة مصاحبة فتاة ، ويذهب بها بعيدا عن الحي للتسلية وسماع ألفاظ الغرام كما يوجد في أغاني ذلك الزمان ، وكان يرى أخواته يصاحبن كما يفعل هو ويتنقلن من صديق

إلى آخر ، ويعمل من نفسه انه لم ير ولم يبصر ، ويغض الطرف حتى سحبه خاله عوني من المدرسة لتنبلته وضعفه في التحصيل والحقه بأمين حبيب ؛ ليتعلم الصنعة وكانت أجرته اليومية ذلك الوقت ٧٥ قرشا يوميا ، واذا تكاسل عن العمل يخصم اليوم ، ويهدد بالفصل ، وظل على ما تعود من النشل والاحتيال على أصحاب البقالات لسرقة الدخان أو بعض الفلوس من جرار الغلة ، فيطلب من البقال حاجة تبعده عن صندوق العملة فيمد يده بخفة إلى صندوق الدخان الموضوع لبيع النفل أو صندوق وجرار الغلة ليتناول بعض المال ، وكان أحيانا يكشف ويعيد ما اخذ ، ويطلب منه صاحب الدكان ألا يعود للشراء من محله حتى لا يبلغ الشرطة عنه ، فهو يعلم أن والده لن يعترف بهالة ابنه أو بنته وهو اهمل شخص في شارع الجزائر .

حتى أن خرزة كان يسرق بعض المال من جيب والده بغفلة من الجميع ؛ لأنه يعلم أن أباه دائما طافي من السكر ، ولا يعلم ما في جيوبه من الفراطة والفكة ، هذه خلفية لما سنعرف عنه في الأيام اللاحقة من فساد وضياع .

اصبح بإمكان خرزة شراء علبة دخان كاملة بعد أن كان يشتري بالسيجارة ، صار يجلس على مقاهي الزيتونة ، ويطلب الشاي أو القهوة أو غير ذلك من المشروبات التي تباع في المقاهي ، بل مع الوقت اصبح يرافق الشباب إلى صالة عرض الأفلام الصينية والهندية ، صار يخرج من الحي بصحبة فتاة للمطاعم والحدائق العامة ، ويحضر معهن السينما ويهديهن التذكارات الرخيصة ، لم يتخلص من عادة السرقة وإخفاء الأشياء وبيعها في سوق الخردة أو لمحلات بعيدة عن شارع سيدو عدنان ، وعندما يفقدها المقاول أو المعلم يحلف عشرات الأيمان لا يعرف أين هي ؟ وأليس يأتي صباحا للورشة بسيارة المقاول ويعود مساء بها ؟ فتلبس قضية الإخفاء لحراس الورشة أو غيرهم .

كان برنامج خرزة في الشغل هو حفر خنادق لمواسير التمديدات، وعادة المعلمون قد يقضي الشاب المتدرب والمبتدئ معهم سنة أو اكثر وهو يحفر لخراطيم الأسلاك وعلب تركيب المفاتيح والأباريز ، ولا يتعلم أشياء فنية كثيرة ، عندما يبدأ المعلم بسحب الأسلاك الكهربائية داخل

المواسير البلاستكية الحلزونية أو المعدنية تكون مهمة المتعلم المساعدة في تسليك الأسلاك وسحبها ، وعند تركيب اللوحات والأضوية والنيونات واللمبات تكون مهمته مناولة الأشياء للمعلم من لمبة من زردية من مفك ، إلا اذا كان المتعلم لماحا فيلتقط المهنة والفعلة بسهولة وبصيرة فيتعلم المهنة بشهور ، وترتفع أجرته اليومية ، قضى خرزة سنتين حتى فهم بعض أسرار المهنة من فهم الألوان التي تستخدم في الأنابيب، وتركيب المفاتيح والأباريز وعلب تركيبها ، وعلب التجميع ، وظلت هواية النشل والاختلاس والسرقة تسري في عروقه كما يقال ، وكانت فتيات الحي اذا كشف أهلها مشيها ومصاحبتها لخرزة تتعرض للإذلال والإهمال أو تفصل من المدرسة زجرا ، فبعد حين يجد غيرها أو هن يجدنه فهو يملك المال والدخان للمطعم والسينما وتارة يتعرض من أشقاء الفتاة للأذى فيصبح أضحوكة لحين في الشارع ، فكان يسعى لفتيات من شوارع أخرى بعيدات عن شارع الجزائر وما حوله من الشوارع ، ثم أصبح يبحث عنهن في الحدائق وشوارع وسط المدينة وأبواب الصالات .

كان محل أمين يتلقى عروض تصليح وصيانة للبيوت المسكونة ، هذا لم يعمل عنده الكيزر سخان الماء ، وهذا لمبة الصالة أو غرفة النوم أو المطبخ لا تعمل ، إبريز الفرن أو الطباخ احترق فيلجئون لمحل أمين طلبا للصيانة العاجلة والتصليح فيرسل أمين بعد عودة العمال معلما ومساعده إلى عنوان البيت المحتاج لتصليح وصيانة أو تغيير سلك بسلك اسمك أو تصليح قاطع لوحة بسبب خلل في نقطة معينة في البيت ، وكان أحيانا يذهب خرزة مع معلمه صلاح لمساعدته ويعرف ما يحتاجونه للعطل فيعود للمحل لأخذ اللازم لصيانة الخربان .

وهكذا بدأ خرزة بدخول البيوت المأهولة ، وبدأت نفسه تهفو على سرقة أموال البيت من ذهب ومجوهرات ، ويضع الخطط لفعل ذلك ، وكان يستصعب كيف التخلص منها اذا سرقها ؟ فيريد مكانا أمينا لإخفائها حتى حين ؛ لأن سرقة مجوهرات وأساور بيت ليست كسرقة لمبة أو لفة سلك ؛ فربما تكتشف السرقة بسرعة ويتهم بها ، فهو معروف بين الناس بالسرقة ؛ لكن سرقاته من النوع الذي لا تستدعى الشرطة للتحقيق فيها ، عندما يفقد صاحب بقالة علبة

دخان أو مادة غذائية لا يذهب يشتكي للشرطة.. فبدأت زيارة البيوت مع المعلم تغريه بتكبير عمليات مد اليد على أموال الناس .. فلذلك كلما دخل منزلا مأهولا يدرس اضعف نفطة لاقتحامه والوقت المناسب للعملية .. وقرر القيام بمحاولة حتى اذا نجح فبعد حين سيترك أمين ويعمل مع غيره بصفة معلم يكفي سنتان كمتدرب وعامل بسيط .. عليه بعد أخرى سنتين أن يتزوج ولا يظل يحب هذه ويحب تلك ، وكلهن يحببن جيبه وما ينفقه عليهن كما فهم ذلك .

وجد بيتا مناسبا ليبدأ به بيت يسكنه رجل عجوز وامرأته العجوز مثله ، وهما يغيبان عن البيت ليلة الجمعة عند احد الأبناء في منطقة أخرى ، وعرف ذلك من الرجل وهو يحدثهم عن أبنائه وانه في كل أسبوع ينام ويتغدى ظهر الجمعة عند احد الأبناء أو البنات ..فكان الرجل يحدث المعلم صلاح ، وعمل نفسه يشتغل في عمل طلبه المعلم وبعد ساعة من التصليح أخذا الأجرة وانصرفا ، وعادة الأجرة تعود لهما أما ثمن البضاعة فيذهب للمحل ، ويكون نصيب خرزة من الأجرة اكثر من يوميته ، فيقبل شاكرا ويعيدون عدة الصيانة للمحل وينصرفان إما لصليح آخر أو إلى بيوتهما.

لم تكن أول تجربة للسرقة لخرزة كما ذكرنا ؛ ربما كانت سرقة بيت العجوزين أول سرقة كبيرة كانت في حياته ، بعد أسبوع من ترك العمل في بيت العجوز جهز أدوات تساعده في مهمته مثل مفكات كماشة لتساعده في فتح القفل ، فهو لم يحترف فتح الأقفال بعد ، كان يعتمد على الخلع بعد نصف الليل ليلة الجمعة ترك المقهى الذي بدأ يغلق أبوابه مع منتصف الليل وصل بناية أبي صبحي تسلل للطابق الثاني كان الوقت قريبا من الثانية صباحا وبواسطة المفك وإزميل رفيع فتح الباب بدون ضجة تلفت السمع دخل ورد الباب خلفه وذهب لغرفة نوم أم صبحي يبحث عن صندوق مجوهرات أو حقيبة ، لم يكن الأمر صعبا ؛ ولكنه لم يجد الكثير من الذهب اربعة خواتم وأسورة واحدة وبعض المال النقدي ، فوضع الأشياء في كيس وتسلل خارجا ، ولف في شوارع قريبة من البيت وتسلل للبيت ؛ حيث يحمل مفتاحه الخاص منذ أن اصبح سهيرا

واستيقظت أخته الأصغر منه على صوت فتح الباب فقالت : قرب الفجر

ـ غدا الجمعة لا يوجد عمل نامي

ـ يعني اذا الجمعة تظل في الشارع

ـ كنت مع سعيد

لما سمعت اسم سعيد ادركت انه يغمز بأخر صديق لها فعادت للنوم تقول في نفسها : يا لك من حقير نذل !

فمضى إلى غرفة نومه واخفى الأشياء حتى يتدبر مكانا يخفيها فيه قبل مداهمة الشرطة للبيت اذا احد اشتبه به ، ورآه مع أنه وضع طاقية تخفي الوجه ، لما رجع أبو صبحي صباح السبت اكتشف اللعب بالباب واكتشفت السرقة فاتصل ابنه قبل أن ينصرف بالشرطة مبلغا بسرقة بيت والده أثناء غيابه عن البيت ، والجار الساكن اسفل منه نفى حسه بعمل سطو أو عبث في شقة جاره وقيدت القضية ضد مجهول ، فلا بصمات ولا أدلة تساعد على كشف الجاني ، ونسبت لأحد يعرف أسرار البيت دون الاشتباه بأحد ، وترك خبر عند باعة الذهب والفضة بصفة خواتم أم صبحي ، لأن الحرامي سيلجأ لبيعها لهم .. وستجد بينهم من لا ضمير لديه اذا تعود على شراء المسروقات بثمن بخس ، ثم يصار لصهرها لتباع في شيء وشكل آخر

تابع خرزة أخبار السرقة عن بعد ومن أصحاب البقالات والجيران ؛ كأن العرس بعيد عنه واستفاد من العملة الورقية بكل سهولة ، وتابع عمله مع أمين حبيب كالمعتاد ، وبدا يخطط لسرقة جديدة وسيركز على المال النقدي ، فهو اسهل للتصرف والشراء فبيع الذهب كما قال رفيق مقهى يحتاج لدهاء قبل بيعه فهؤلاء تجار الذهب قد يكون بينهم من يتعاون مع الأجهزة الأمنية والشرطة السرية

كان هذا الرفيق على شاكلة خرزة يعمل في النشل والاحتيال في سوق المدينة الكبير وسرقاته من الوزن الخفيف ، لم يكن يفكر كخرزة بسرقة كبيرة واقتحام المنازل قال له خرزة : يا قويدر لماذا لا نسرق محلا تجاريا قبل أن يحيل صاحبه الغلة إلى البنك أما سرقة دينار أو خمسة فلا تستحق

الحبس

قال : أين المحل الذي تستطيع سرقته ؟

ـ لابد أن يوجد .. علينا بالبحث عنه لن يمشي هو إلينا تعالوا اسرقوني

ـ أنت عمرك سرقت محلا

ـ لحتى الآن سرقاتي مثل سراقتك مغافلة البياع لسرقة علبة دخان لطش ورقة عملة من الصندوق سرقة شيء يباع بنطلون أو قميص

ـ اذا وجدت محلا سوف أساعدك ؛ لأن هذه السرقات لا تغني ولا تسمن من جوع .. ساعة زمان وينتهي مفعول المسروق حتى مرات لا تستطيع شراء قنينة خمر منها

ـ أنا مرة سكرت وبطلت تعبت لم يحتمل جسمي

ـ تحتاج لتدريب مرة على مرة ببطل جسمك يتعب منها ..أنا اعرف أن أباك مدمن شراب.. زمان ما رأيته أمام محل خليفة ..

ـ ما زال .. بس حليفة مات فانتقل لمحل نشوان تاجر السكر والأرز

ـ عرفته أنا اشتغل مرات هناك .. النشل عند الزحام مفيد .. الناس تفقد المحافظ بدون ما تشعر إلا بعد أن يصبح المبلغ في الجيب .. ثم يجدون المحفظة خالية من المال .. فينسون السرقة بوجود الوثائق الأخرى

ـ لكنك تمسك كثيرا وأصبحت معروفا لدى التجار

ـ هذا ما اضعف العمل والشغل .. صرت اكتفي بسرقة ورقة بسيطة أو علبة تبغ .. فأتمنى أن اسرق محلا فيه غلة كبيرة .. يستريح الواحد أسبوع زمان

ـ استعد سأجد مثل هذا المحل ..هناك محل له شباك غير مرتفع كثيرا عن الأرض سأريك المحل ونتفق على القسمة وطريقة الدخول من تلك النافذة التي تتسع لرجل نحيف مثلي

ـ أنا جاهز في أي وقت ..بس هل تضمن وجود عملة؟

ـ لابد أن يتركوا شيئا لليوم التالي

قام خرزة بعد هذا اللقاء بقويدر بعملية سطو لدكان في سيدو عدنان قرب مدرسة الجزائر حيث دخل المحل بخلع القفل بواسطة عتلة ، ورفع جزءا من الباب وتسلل للدكان ووضع ما وجده في صندوق أبي إبراهيم من نقود ورقية في كيس صغير من الخيش وتسلل خارجا وانزل الباب حتى لا يراه حارس الليل اذا مر من أمام المكان مع انه يعلم أنه بعد نصف الليل عندما تخلو الشوارع من الناس فيذهب لبيته زاعما أن الأمان يخيم على المنطقة وقبل الفجر تسلل للبيت وأحست به مليكة وقالت : أين كنت حتى هذه الساعة؟

ـ كنت في بيت قويدر يا ست الحسن .. وهو يبحث عن عروس فقلت له عندي اختان

صاحت : من هو قويدر يا إبليس ؟

ـ شاب محترم

ـ وهل تمشي أنت مع شباب محترمين ؟

ـ احسن من الشباب والبنات اللواتي تصاحبيهن ..

ـ لم أر أوقح منك ..أنت نذل ! كيف تتكلم معي بهذا الكلام الوقح ؟! .. أولا ربي نفسك قبل أن تربي غيرك .. حقير

وعادت للنوم ودخل حجرته دون أن يرد عليها ، ولما التقى بقويدر سأله الشاب : متى سنسرق المحل ؟

ـ وجدت أن الأمر صعب يا قويدر ! فعليك أن تبقى على ما تفعله .. وانا سأبقى على العمليات الخفيفة التي لا تدفع بتدخل الشرطة

ـ مع حق .. أنا فتحت بطني حتى انني قلت لرايق أننا سنغير خطط العمل

ـ ولماذا قلت له يا قويدر ؟! فضحتنا قبل أي خبطة .. العمل معك يفسد العمل

ـ أنا كنت افكر أن نضمه للعصابة فهو حرامي مثلنا

ـ عصابة ! أين هي العصابة ؟

ـ وماذا نسمي شراكتنا ؟

ـ الخمرة تلعب في عقلك يا رجل .. أين الشراكة بيننا ؟! نحن رفاق كار واحد يا ملعون لسنا شركاء .. افكر بترك العمل مع أمين متعهد التمديدات الكهربائية .. صرت اكره الشغل.. افكر بالزواج تعرفت على بنت ترغبني بخطبتها خشية أن يخطبها قريب لها

ـ معك مصاري (مال) للزواج هو شغل الكهرباء يفتح بيتا !

ـ كثير من الشباب معنا متزوجون يا قويدر .. أنا اخرت الزواج حتى تتزوج أختاي لأعيش في بيت والدي ، وتصبح غرفة البنات غرفة زواجي

ـ وهل تقبل سميحة بذلك؟

ـ العروس ليست سميحة

ـ أنت تركت سميحة

ـ زمان تركت سميحة .. فتاة اليوم من حي البندورة

ـ اتعس حي في البلد

ـ لم هو اتعس حي ؟ كل الأحياء فيها المليح والقبيح

ـ عرفت فيه امرأة تزني فيها باقل من دينار

ـ في نساء تزني بدون درهم أو دينار يا معلم ما قال لك رايق عن السرقة ؟

ـ قال يجب أن نطور عملنا ولا نبقى على السرقات الخفيفة

ـ معه حق .. يجب أن نطور عملياتنا يا قويدر .. أنت تكتفي بنشل محفظة شخص طفران وهل احد يأتي للتسوق ويحمل الكثير من المال ؟

ـ أنا بسرق قوت يومي .. أنا مرات باضطر اسرق علبة سردين أو طن من الجوع

ـ أنت لماذا لا تثبت في شغلة ؟

ـ يا رجل الشغل متعب .. وفي نهاية النهار أو يوم عمل تكسب مبلغا زهيدا

***

صديقة السينما

كان خرزة يجلس مع آخر صديقة اسمها لمياء ، تعرف عليها من خلال السينما ، كانت تحضر فيلما وتجلس قريبة منه فطلبت منه سيجارة فاقترب من مقعدها وقدم لها سيجارة مشتعلة فشكرته ، واتفقا بعد الفيلم أن يتعشيا معا ، فقبلت الفتاة الدعوة هي ورفيقتها التي تحضر معها الفيلم المصري ، وانتهى الفيلم بعد السابعة مساء ، وخرجوا يعلقون على الفيلم القديم وزعمت الفتاة أنها حضرته من سنوات ، ولم يكن فيلما جديدا فقد خدعت السينما الجمهور ؛ إنما غيروا اسمه وبعض لوحات العرض القديمة للفيلم ، فقال : كذا مرة حضرت هذا الفيلم ثم اذهب إلى سينما أخرى فأجده باسم جديد ، تعودنا على الخداع لن تقف على هذه الفيلم .. صاحبتك مالها صامتة؟ تخجل من الحديث مع الشباب

فقالت لمياء : كنا ننتظر صديقها على باب السينما لم يحضر مخالفا الموعد

فقالت الرفيقة : خشي أن يدفع ثمن التذاكر يبدو انه بخيل يا لمياء .. نحن نعرفهم من مثل هذه المواقف .. ها هو خرزة بدون معرفة سابقة بيننا سمح لنا أن ندخن من سجائره طول الفيلم ثم يدعونا للطعام .. فهذا سبب صمتي يا سيد خرزة

قالت لمياء : أنت تشتغل يا خرزة أم في المدرسة

قال : لي اربع سنوات خارج التعليم أنهيت الإعدادية بصعوبة واعمل في التمديدات الكهربائية بصفة نصف معلم وأنتن تدرسن

قالت الرفيقة : تركنا المدرسة من بداية السنة نعمل في مشغل خياطة ونحب السينما والأفلام المصرية ؛ لكننا خدعنا بهذا الفيلم لقد حضرناه من قبل

قالت لمياء : الدعاية خدعتنا كما قالت منيرة .. أي المطاعم احب إليك ؟

ـ سنتعشى بصحبة الجميلات في مطعم أبو سمكة

قالت منيرة : اسمه هذا؟

ضحك وقال : لا ، لا ، هو اسم صاحبه

قالت لمياء : أين يقع مطعم أبو سمكة ؟

أشار إلى لوحة قريبا منهم : ها هو قرب الحلاق معاذ

فقرأت لمياء : مطعم البلابل

فقالت منيرة : ما العلاقة والصلة بين البلابل وأبو سمكة؟

فضحك خرزة وقال : عليك أن تسألي المعلم أبو سمكة

فقالت لمياء : وهل يجيب ؟ هل اسم عيلته أبو سمكة ؟

ـ لا ادري هكذا ينادى من الناس ، قد يكون بياع سمك قبل فتح المطعم

***

بعد علاقة معرفة استمرت سنة وعرض عليها أن يخطبها من أهلها فقبلت ، وأخذ والدته واحدى أختيه وخاله عوني إلى بيت والديها في حي ليلى العامرية ، وقبل الوالدان بخرزة عريسا لابنتهم التي تعمل في الخياطة في احد مشاغل وسط المدينة ، واتفقوا على الزواج بعد سنة ليكوّن الشاب مهرا ويستأجر بيتا في نفس حي العامرية ، ووجد خرزة أن والدها يعمل في مقهى في الحي كجرسون منذ زمن بعيد ؛ ربما منذ أنشيء المقهى ، وكان عليه أن يشتري ثلاث أساور وخاتمين وبعض المال عند العقد الرسمي ، ووافق الشاب على ذلك ، ونتيجة هذه الخطبة اصبح يزورها في البيت ويشرب معها الشاي أو القهوة ويسهر مع الأسرة ، وخلال الأيام استطاع معرفة أين تضع حماته صندوق مجوهراتها البسيطة ، فطمعت نفسه الدنيئة بسرقتها في أي فرصة تتاح له ، تعرض محل أمين للاقتحام ، ولم يكن فيه نقود كثيرة ؛ فكانت النقود تذهب معه عند إغلاق المحل ؛ لأنه تعرض لسرقة قبل هذه المرة من قبل أن يعمل معه خرزة ، ثم تبين لهم انه احد العمال المطرودين فسعى للانتقام ، وكان أمين حبيب وشقيقه محمد يعتقدون أن احد العاملين معهم هو المقتحم والسارق للفراطة ، وبعض الأجهزة الخفيفة الحمل وسهلة البيع ، ولم يحددا من الفاعل هل هو من المفصولين أو من الذين ما زالوا يعملون ؟ وقالا الأيام ستكشف المجرم ونجا خرزة منها أيضا

بعد خطبة خرزة ولمياء بشهرين فقدت أسرة لمياء صندوق مجوهرات أمها بطريقة غامضة غير واضحة ، كانت الأسرة المكونة من ثلاث بنات وشابين والأب والأم قد تركوا ابنتهم مع خطيبها ، وذهبوا لزيارة عمة لهم تسكن في نفس الحي ، ولما ذهبت الفتاة لتحضر عشاءا خفيفا لها ولخطيبها خرزة ، وظل خرزة ينتظر العشاء والشاي في غرفة الضيوف ، ولما عادت الأسرة للبيت انصرف خرزة شاكرا ، وبعد أيام اكتشفت الأم أن صندوق الأساور وبعض قطع الذهب فارغ ، وذهب الشك إلى خرزة فورا ؛ لأنه لم يكن هناك عنف واقتحام للبيت ، ولم يدخل غريب البيت منذ آخر زيارة لخرزة ، وحلف خرزة مائة يمين انه لم بسرق .. ولا يعرف أين تضع الأم مالها ؟ وقال ربما سرقت قبل زيارتكم لعمتكم ، وشعرت لمياء أن خطيبها هو الفاعل بسبب انه أثناء العشاء الذي قدمته له كان شكله مضطربا ومتغيرا ، وزعم لها انه يحس بمغص .. ونتيجة لهذا الحادث وتدخل الشرطة ولم يكن بيدهم أي معلومة تمت فسخ الخطبة ، وابتعدت لمياء عن خطيبها وهي تعض أناملها غيظا منه ومن خيانته وأسفت عن عجزها من مساعدة الشرطة فالاتهام للناس بدون دليل ظلم ، ولم تسمع انه يسرق أو سرق ؛ بل كان كريما معها قبل أن يخطبها ويتعرف على أهلها ، فقضت عمرها في حيرة من هذه الحادثة فقالت لمنيرة : اشك كثيرا بأنه الفاعل استغل ذهابي للمطبخ ولطش الذهبات

فقالت : هل يعرف مكانها قبل الحادث ؟

ـ لا ادري يا صديقتي ! أمي تقول إنها فتحت الصندوق قبل يوم أو يومين من ذهابها لبيت عمتي لأنها بين وفترة تتفقد الصندوق وهي على ذلك الوسواس منذ اكثر من عشرين سنة حتى اصبح ذلك عادة لها

ـ هل هي خائفة من إخوتك ؟ هل لهم على ذلك؟

ـ هي تعمل ذلك من قبل وجودنا .. طارق وهو صغير كان يسرق من الدكاكين أشياء بسيطة كيس بزر علبة دخان أما ذهب فلا .. ولما كبر ترك عادة السلب

ـ وأيضا كلهم مع العيلة كانوا في زيارة العمة

ـ نحن لم نشك إلا فيه لم يزرنا احد قبل اكتشاف السرقة

***

ذهب خرزة مع المعلم صلاح وعامل جديد لعمل تصليح في بيت مدير شركة في حي ميسون لأن صاحب الشركة قريب لأمين ومحمد شقيقه ، فاحب أن يعمل له الإصلاح قريبه ، كانت المشكلة بعض قوابس المطبخ لا تعمل وتعمل تماس عند استعمالها ، وهناك بعض النيونات تحتاج إلى تغيير قام صلاح بكل الفحوصات اللازمة وحدد أماكن الأعطال وكتب قائمة بالأشياء المطلوبة لمدير الشركة قريب أمين ، وطلب من احد أبنائه مرافقة خرزة لجلب المطلوبات ، واخذ صلاح يفتح علب الأباريز ويجهزها لتغيير الأسلاك باسلاك اسمك من الموجودة ، ويستعد لتغيير الأباريز والمفاتيح الفاسدة .





عاد خرزة بالمطلوب وبدأ التبديل للتالف والمضروب بالأنواع الجديدة ، واستغرق العمل اكثر من ساعتين بتبديل الأسلاك المحروقة والمعطوبة وكذلك الأضواء الفاسدة ، واستلم المعلم صلاح ثمن المواد المستخدمة ، ونقدهم المدير الأجرة المناسبة ، وخرج الثلاثة مع هبوط الليل وقد وضع في يد كل واحد نصيبه من العمل الإضافي وتركوه وانصرفوا كل إلى جهته ، وهو عاد بما بقي من الأسلاك والعدة للمحل في شارع سيدو عدنان ، ولما اختفى العامل اخذ خرزة يفكر بسرقة بيت مدير الشركة ، فلقد قاموا بجولة تفقد في كل البيت فعرف موقع غرفة النوم وقال : هل يوجد في البيت مجوهرات؟ هؤلاء الأثرياء يخفون أموالهم في البنوك واسمع انهم يضعون مجوهراتهم كذلك في البنك .. هل يا ترى كلما تخرج المرأة والبنات يحضرون مجوهراتهم من البنك أم إنها



موجودة في غرف النوم ؟ هذا اذا نجحت المغامرة ستكون ضربة كبيرة ؛ وربما اكسب فيها آلاف الليرات ، البيت غير صعب الاقتحام فهو وحيد ليس تحته احد ولا فوقه احد ، الرجل وزوجته وبنتان وولدان إلا اذا كان هناك من هو خارج البيت .. فهمت أن زوجته تعمل مثله وان الشابين في الجامعة وأكيد البنات في المدارس ، سرقته في الليل ستكون صعبة إلا اذا خلا البيت منهم .. وسرقة النهار صعبة ، هل يذهبون لحفلات وسهرات كيف سأعرف يوم السهرة والحفلة ؟ لابد من مراقبة المنطقة ، وهذا لن يكون سهلا سيراك الكثير من الناس هل من فكرة وحيلة ؟..كيف سأدخل في النهار ؟ وهل سهل فتح الباب ؟ فكر فكر خبطة العمر .. هل يساعد السطح الدخول للبيت ؟ ممكن الدخول من نافذة خلفية لكن هناك شبك حماية لابد من ثغرة أيها الإنسان .

اجل المغامرة حتى حين لأن البيت محتاج لمراقبة بضعة أيام حتى يتأكد من خلوه ممن يعيش فيه لذلك بعد أسبوع من تصليح بيت المدير اخذ إجازة من المقاول أمين بحجة انه يفكر بزيارة للعراق أو لبنان أو سوريا أو مصر أو الأردن ، والشغل لا يتوقف على غياب شخص ، وخلال الإجازة كانت يذهب لشارع المدير أبو إساف من الساعة الثامنة حتى العاشرة ، يوما يذهب ويوما لا يذهب ، وكان يغير مكان المراقبة وانتهى الأسبوع ، ووضحت في مخيلته خطة العمل ، استعار درجة نارية من رفيق في شارع سيدو عدنان اسمه احمد علمه على قيادة الدراجة ، وحصل على رخصة قيادة من سنتين ؛ ولكنه لم يشتر دراجة لعدم حاجته إليها ، فهي لا



تساعد في السرقة في أحياء مأهولة شعبيا ، فصوتها مميز بسبب قلة من يتعامل بالدراجات ، استعار الدراجة بزعم مشوار إلى مدينة أخرى لتصليح عطل في بيت ، وصل البيت قبل الظهر ونزل بعيدا عن الفيلا بمائة متر وحمل صندوق عدة صغير كالذي يستخدمونه في الذهاب للتصليح ، يوجد فيه مطرقة وكماشات وزرديات بصور متنوعة واقترب من الباب الذي على

الرصيف وضغط الجرس منتظرا أن يفتح احدهم و يتكلم معه احد بواسطة الانتركم فيزعم انه يبحث عن بيت فلان اذا كان احدهم في البيت ، كرر الضغط دون أن يرد احد ففتح البوابة السهلة الفتح بسلك خاص يفتح الأقفال السهلة ، وحمل الصندوق ثم فتح باب الفيلا المطل على البوابة والحديقة ثم صعد درجات إلى باب الفيلا كان الأمر سهلا ولم يطل فتح باب السكن والى غرفة النوم المعروفة له ، ولم يتغلب في سرقة مجوهرات المرأة ووجد معها بعض المال وخرج كما دخل في وضح النهار يحمل صندوق العدة ، فكل من رآه ظنه يصلح شيئا في بيت المدير ، ولما ابتعد اخرج المجوهرات من صندوق العدة وأخفاها في ملابسه ، ثم أعاد الدراجة لصاحبها بزعم انه لغى المشوار ، وفي المساء نقل صندوق العدة لمحل أمين زاعما انه صلح بيتا لحسابه وتفقد أمين صندوق العدة لم ينقص منه أي قطعة عدة وقال : كل شيء تمام ما دمت تستطيع العمل وحدك يا خرزة يلزمك صندوق عدة بدل الاستعارة لن يكلفك كثيرا

ـ أنا فكرت بذلك يا أبا رائد ؛ لكني بفكر أتعلم قيادة السيارات واعمل على تكسي بدلا من ورشة هنا وأخرى هناك .. الأيدي تعبت من حفر الحيطان وسحب الأسلاك

ـ لا يوجد يا عمي شغل فيه راحة .. أنا هنا في المحل وبتعب يا ابني .. سمعت انك تركت خطيبتك

ـ لم يكن بيننا شيء رسمي وعد بالزواج .. ورأيت الحياة صعبة معها .. خاصة أمها يا عمي يا أبا الرائد يبدو انني تسرعت بطلب يدها ..

ـ متى ستأخذ الرخصة ؟

ـ ما زلت أتدرب في مدرسة أبو شرف .. احتاج كما قال لعشرة دروس

ـ ستظل معنا هذه الأيام ماذا فعلت بالإجازة التي أخذتها من أيام؟

ـ لم اخرج من البلد .. الشاب الذي كان سيذهب معي وحمسني بطل .. فقضيتها في المقاهي والسينما مع الأفلام الهندية التي تغزو البلد

ـ نحن نرحب بك وببقائك .. وخالك عوني صديق العمر .. سمعت أن والدك صدمته سيارة

ما حل به؟

ـ هو الذي صدم السيارة .. بعض الرضوض

ـ اخرته يندعس يا خرزة

ـ ماذا نفعل له ؟ منذ وعيت عليه وهو يعتل ويسكر ويعود للبيت للعشاء والنوم .. ولولا إحسان الخال لمتنا من الجوع

ـ أتساعد أنت في مصروف البيت؟

ـ أنا والبنات .. هن يعملن مثلي .. ينتظرن مثلما نقول أبناء الحلال ولكن سمعة عجيلي تنفر الناس عنهن

ـ صحيح سمعة الآباء مهمة للبنات اكثر من الذكور .. مشروع زواجك فشل

ـ لي شهور تارك .. الخبر يبدو انه وصل إليك متأخرا

ـ من أيام سمعت من بلال من خلال السؤال عنك بسبب الإجازة

***

اكتشفت سرقة بيت المدير في نفس اليوم ، وتحدث بعض الناس انهم شاهدوا رجلا يدخل البيت يحمل صندوق عدة ازرق وظنوه دخل باتفاق بينكم ، وحضر البحث الجنائي لرفع البصمات كالعادة لم تكتشف بصمة غريبة عن بصمات الأسرة وضيوفهم ، وتجار الذهب لم يتقدم اليهم احد بمواصفات المسروقات، واخذ الزوج يتلاوم هو وامرأته بعدم وضعها في صندوق البنك الخاص به ، وانها تخشى أن يتصرف فيهن دون علمها فقالت : لا وقت للوم .. أكلما اذهب لحفلة أو عيد ميلاد رأفت المجوهرات؟ الآن البنك مغلق لما لم تقولي من الصبح؟

قال : هو لم يسرق ذهب البنات

ـ هو لم يجدها في طريقه.. هو شخص دخل غرفة النوم هذه من قبل .. ولا ادري من يكون هذا اللعين ؟!

قال : من يدخل غرفة نومنا غير الأبناء ؟

قالت : وهو يعلم أننا جميعنا خارج البيت إلى ما بعد الظهر

حرك رأسه حيرة وقال بسخط وحرقة : وضعنا مكشوفا ومعروفا له! .. هل هو من الجيران اقصد أبناء الجيران ؟!

قالت بنفس الضيق والحيرة : لم نسمع بسرقة مهمة قبل اليوم عن احدهم .. هل سمعت أنت؟

أجاب بنفس الحيرة : جيراننا أغنياء مثلنا وهل يسكن هذا الشارع فقير ؟

قالت : يا رأفت قد يطمع بعشرة آلاف ليرة أو دينار

ـ بس هذه هي قيمة الذهبات

ـ من حظي أن بعضها في بيت أمي

ـ ولماذا بيت امك ؟!

ـ إعارة لحضور عرس بنت جارة

***

السرقة كما هو معروف حدث امني يومي ، فهناك النشال ، وهناك المحتال والنصاب والمخادع وهناك سرقات صغيرة وسرقات كبيرة ، ولا تستطيع الشرطة مهما بلغت من القوة متابعة كل شكاوي المواطنين ، فتترك القضية حتى يقع لص فجأة بمساعدة الناس أو دورية ، فيقر على كل سراقته والأشياء التي استولى عليها من الأثاث والمتاع ، ولا تنسوا سرقة السيارات للسرقة بواسطتها أو تهريب الممنوعات بها ، فليس الأمر سهلا على أجهزة الأمن .. وكثير من السرقات لا يشتكي أصحابها لمعرفتهم بعجز الشرطة في تحصيل المسروق ؛ وربما اصبح في بطن السارق اذا كان مطعوما أو مالا ، فبين مدير الشرطة للسيد رأفت الإجراءات التي يستطيعونها فمنها مراقبة الشارع لفترة ومنها تبليغ محلات الذهب والمجوهرات بصفة المسروق ، وما عليهم إلا الانتظار ؛ لأن السارق سوف يضطر لبيع ما يسرق إلا اذا استطاع تهريبه لخارج البلد وسيصبح تحت رحمة المهرب اذا استعان بمهرب وسيفقد نصف ما سرق .. ولكننا في النهاية سنقبض عليه وعلى من ساعده .. فهؤلاء الحرامية يعترفون على بعضهم بسهولة اذا وقعوا في

أيدينا

ـ إذن علينا الانتظار

ـ هل هناك غيره ؟ انتم لا تشكون بأحد .. والجيران وصفوا شخصا يحمل صندوقا للعدة فعشرات من العمال يحملون صناديق عدة .. هذا عندك وهذا عند جارك .. الكهربائي يحمله السباك يحمله كذا النجار الحداد .. وفلان نحيف ورفيع وفلان حوالي متر وسبعين .. هذه يا سيدي وأنت سيد العارفين مواصفات عامة .. يلبس كذا وعلى رأسه طاقية سوداء حمراء

ـ الانتظار يا سيدي يعني أن المال انصرف وماذا نستفيد بعد إنفاقه؟

ـ اذا باعوه لتجار ذهب فسيدفع التاجر كل ثمنه سوى الحبس والغرامة بأنه قبل ذهبا مسروقا المهم يا سيدي أن يقع ونقبض عليه .. فالحرامي في العادة لا ينسى البيت الذي سرقه ؛ لأنه لم يظهر فيه فجأة لابد انه يعرفه حق المعرفة .. قد يكون التحقيق في جريمة قتل اسهل من جرائم السرقة ؛ لأنها اقل وهناك أدلة يتركها القاتل .. والبصمات اليوم معروفة لكل حرامي وحتى لو وجدنا بصمة غريبة عن أهل البيت لا نستطيع طلب كل أقاربك للتعريف ببصماتهم فيسبب ذلك لك الأذى والتهمة إلا إذا اتهمت شخصا بعينه فعليه أن يبرر سبب وجود بصمته في مسرح الحادث وقد يكون وجود البصمة مبررا

ـ نحتسب ذلك عند الله

ـ نعم هذا الأفضل .. أقول لك قصة مرة قبضت الشرطة على عصابة محلية في مدينة غير مدينتنا لأن لكل مدينة شرطة خاصة بها .. وبيننا بشكل عام تنسيق .. المهم يا سيد رافت قبضت الشرطة على عصابة واعترفوا بمكان تخزين المسروقات من أجهزة تلفزيون أثاث ثلاجات وكان من ضمن المسروقات سجاد جامع

ـ سجاد جامع وما يفعلون به؟!

ـ يباع على انه مستعمل مثل الثلاجة والتلفزيون .. عرفنا المسجد المسروق منه ذلك السجاد فاحضرنا خادم المسجد ليتعرف على سجاد مسجده فقال لنا الخادم : هذا سرق منذ خمس

سنوات وبلغنا المخفر .. وكان تالفا من البرد والمطر وسوء التخزين أرأيت خمس سنوات حتى وقعت العصابة؟ فقروا بكل ما سرقوه ونحن نتابع البلاغات المسجلة عندنا

ـ وماذا فعل الخادم؟

ـ قال لا يصلح للاستخدام ، فاجرة السيارة لنقله افضل منه ..ونقوم نحن بإتلافه ونقله لمكبات النظافة ونغلق ملف سرقة سجاد المسجد

***

كانت ريحانة تكبر خرزة بأكثر من سنة ، لقد فشلت في اجتياز المرحلة الثانوية فأخذت تعمل في محلات بيع الملابس نحو ما يسمى بالنوفوتيه الاسم الفرنسي ، حتى التقت بشاب يكبرها بسنوات عرفت انه يعمل في ملهى ليلي كمقدم ومدير وجبات لرواد الملهى ، وان شغلهم عند الغروب حتى الفجر عندما يهل زبائن الملهى بالقدوم للهو والرقص والوجبات وتناول الخمور والاستمتاع بسماع الديسكو وأنواع من العزف على الآلات الغربية ، فبعد تكرار اللقاءات بينهما طلبها كعروس فقبلت به ، وانتقلت للعمل معه كنادلة مثله ؛ فكان هو رئيس الخدم في الملهى والنادي الليلي ، وكانت تقدم المشروب للزبائن ، وبعد شهر تدريب وعمل تزوجها قانونا أمام أهلها ، وبذلك الزواج ثبت عملها في الملهى ؛ لأن الملهى لقريب لشادي وزوجته ، مديرا أو مالكا الملهى الليلي ، وبعد انصراف آخر زبون كان شادي يأخذ زوجته ويركبان السيارة إلى شقتهما الخاصة بهما يستمتعان بالنوم .

ترك خرزة بعد زواج أخته الكبيرة بفترة محل أمين غير مأسوف عليه ؛ بل كان يراه الشقيقان عبئا على المحل والورشات ، وتمكن من شراء سيارة قديمة بعد حصوله على الرخصة التي تسمح له بالسواقة ، وكان من فطنته أو خبثه لا يحب أن يظهر ثراءه بسرعة ؛ بل كان يتأنى خشية أن يكون مشبوها لدى أجهزة الشرطة ، ويخسر كل ما يملكه ، فهو صحيح لحتى اليوم يعمل بمبلغ بسيط ومجرد شغيل عند أمين ، فإظهار الذهب وماله سيلفت نظر الأقربين والبعيدين ، لما اشترى القرقعة (السيارة القديمة) كما يقول ، ولا يوجد عمل بدأ يذهب للملهى

الذي تعمل فيه ريحانة أحيانا وحده واحيانا بفتاة تزعم حبه ، ثم التقى بفتاة تأتي للسهر مع شقيقها وأبدى لها الرغبة بالتعرف عليها ، فرحبت به لما عرفت أن أخته ريحانة خادمة الملهى ، وسكت شقيقها عن صحبتها له ، وكان يحدث عن رغبته بالزواج .. وهي تقول لا افكر فيه الآن فلنبق أصدقاء هذا المكان .

وعلم منها أنها تعمل سكرتيرة في مدرسة حكومية ؛ ولكنها تحب الرقص والسهر والشراب فقال معلقا وباسما : هل تذهبين مستيقظة للمدرسة ؟

فضحكت وقالت : أنت ترى .. اسهر للساعة الثانية ثم أغادر ، ولا احضر كل ليلة .. ثلاث مرات في الأسبوع .. ولا اشرب كثيرا اغلب الأحيان .. نحن نشرب الخمر في البيت كما نشرب الماء

فيسكت أو يتحدث في أمور أخرى واجل موضوع الزواج منها حتى تطلب ذلك ، وكان شقيقها سمحان يعمل في مصنع أغذية كموزع غذاء على سيارة للمصنع ، وتزوج مرة ولما عرف خيانة زوجته له تركها ، ولم يتزوج بعدها وهو يحب السهر مثلها ، ويعيشان في بيت واحد مع أسرتهم التي بدأت له غامضة تلك الأسرة ، وقال لنفسه مفسرا الغموض : لعل والديهم مثل والدي لا يصحوان فيتسللان إلى اللهو في هذا المكان ؛ حيث النساء نصف عاريات سكرانات ؛ لكنهم يقدمون طعاما لذيذا .

***

فيروز

لم تكن الفتاة هي المرأة الوحيدة التي ضرب معها صحبة ، كل أنثى لا تجد رفيقا فكان هو ، وهن يقبلن السمر معه والتحشيش والرقص دون خجل أو حياء ، فهو يعرف صفات مثل هذه الأماكن ، وبعد شهور من تردده قبلت الفتاة الأولى فيروز الزواج منه بعد فترة خطوبة فرحب هو بذلك وشجعتها ريحانة على الارتباط بأخيها وسمحان سكت ولم يعترض .

قبل أن يحدث شيء بينهما حدثت سرقة مالية في الملهى ، سرق مبلغا لا يقل عن خمسمائة دينار مما اغضب المدير وزوجته ، وخيم الشك على كل العاملين في الملهى ، من تطاول على ماكنة المال والحساب ؟ وكيف سمح موظف الكاش بذلك؟ فقال : ذهبت للمرحاض لقضاء الحاجة .

ولم يتبين من اقترب للكاش ولم يره احد ، ونحن نعلم أن الفاعل خرزة لما لاحظ أن الموظف ترك الالة كما يفعل في مثل هذه الساعة كل ليلة .. يراه يتجه لدورة المياه ، فزعم لصديقته فيروز أنه يعاني من ألم في بطنه ومشى لدورة المياه وسرق من الماكنة وذهب لاحد المراحيض ، وعاد للجلوس مع فيروز ؛ كأن لم يكن شيء حدث .

لم يكن صندوق الكاشير تلك الأيام متطورا مثل أجهزة اليوم ، درج وصندوق لفئات العملة والة حاسبة ، اليوم يستخدم حساسات وكمبيوتر

***

درج الكاشير يعد درج النقدية من أولى وأهم ما يجب انتقائه والحرص على اختياره في المتاجر والبقالات والمعاملات المالية ، وذلك للحفاظ على الأموال حيث أن الأدراج النقدية بمختلف الأحجام والأشكال تساهم في تلبية حاجة العملاء، وذلك لأنها تحتوي على مساحات من أجل العملات الورقية والنقدية والمعدنية ، ويسُهل تنظيم الأموال فيها مما يساهم ذلك في الإسراع من العمليات الحسابية ولا تنس عند قيامك بشراء درج الكاشير أن تتأكد من جودة الخامات المستخدمة وأنه مقاوم لعوامل الجو من الجفاف أو الرطوبة، وحتى الحرائق.

***

نشل خرزة المال بدون جهد يذكر لانشغال الجميع بعمله ، هذا ينقل الصحون للمطبخ وذا يأخذ الصحون للزبائن ، والكل في حالة سكر وطرب ورقص ، وخفة يد خرزة تساعد في الاختلاس ، وبعد تدقيق وتحقيق من المدير والمحاسب اغلق الملف بالفشل ، وترجح انه احد الزبائن استغل فرصة ذهاب المحاسب أو الكاشير للحمام واخذ المال ، واشتبه رغم ذلك بشقيق ريحانة لرؤية احدهم له ذاهبا للمرحاض من قرب مكتب المحاسب ، فتعرض للطرد بالشبهة دون الاتهام ، فغادر وهو يواعد فيروز باللقاء في مكان آخر .

ترك ملهى شقيقته ريحانة وزوجها بعد حادث السرقة ، وهو لا يدري أهم يعلمون بأنه السارق حقيقة أو لسبب آخر ، فعاد لنشاطه الليلي للجلوس في المقاهي التي اعتاد عليها مع قويدر ورايق وغيرهم ، وكان رايق لصا أو نشالا شبيها بقويدر ؛ ولكنه كان محترفا بفتح الأقفال وصنع أدوات بسيطة لفتحها ، وتعلم خرزة بعض الفتح والأدوات المعدنية المساعدة في ذلك ؛ ولكنه لم يستعين به بمهنته السرية ؛ لأنه كثير الشراب مثل قويدر .. هم سرقتهم ونشلهم لشراء الطعام والشراب ، وعرض عليهم رايق سرقة محل كبير يعرف طرق الدخول إليه بكل سهولة وهو يحتاج لشخص نحيف مثل خرزة فقال ردا على الاقتراح : سرقة مثل هذه المحلات يعرضنا للخطر الكبير بتدخل الشرطة ورفع البصمات والآثار فخلينا على الأعمال الخفيفة يا رايق

فقال قويدر : فعلا يا عم رايق السرقة الكبيرة تعرضنا للبوليس أما هذه السرقات أصحابها يصرخون ويزعقون ويبلعون السرقة

هكذا كان دردشة خرزة مع الشابين زملاء المهنة ، كان يحب العمل وحيدا؛ ولكنه يحب سماع حيلهم البسيطة منهم ومن غيرهم ذوي السوابق الذين يستعرضون حيلهم أمام بعضهم البعض ويرى أن فيها كثيرا من الكذب والمبالغة وحتى انه لا يعتبرها سرقة فقال احدهم : كيف اشتريت تلك القرقعة ؟

ـ صديق جار في الشارع باعني إياها بمبلغ زهيد مائتا ليرة من شغل وادخار الشغل مع أمين

قال رايق : تركت الشغل معه !

ـ نعم ، تركت السيد لم يعد يدفع أجرة كبيرة منذ عملت معه وأجرة اليوم ذاك الدينار قضيت معه ما يقارب الخمس سنين وهو لا يزيد الأجرة .. أحيانا تصليحة بعد العصر مكسبها شغل يومين أو ثلاث

ـ وماذا ستعمل ؟

ـ عندما اخذ رخصة سيارة العمومي سأعمل سائق عمومي على خط سير من خطوط السير أو اعمل على تكسي مكتب اذا توفر .. هل تزوجت ؟

قال رايق : من أين سأتزوج يا صاحبي ؟ شغلنا لا يطعم إلا نفرا واحدا.. ودائما مطرود من الدار .. الأب يصيح اشتغل ولو زبالا والأم اشتغل ولو بياع خضرة

قال قويدر : هذه مشكلة الآباء .. اشتغل اشتغل ولو على حمار أو بياع على عربة

ـ أنا أتدرب على القرقعة حتى تمضي السنة حتى أتمكن من الحصول على رخصة لدرجة اعلى

قال رايق : أريد أن تذهب بي مشوارا خاصا

ـ أين ؟

ـ لما توافق أقول لك

ـ السيارة يا رايق تحتاج لبنزين لا تسير على الماء

ـ يعني ترفض

ـ ادفع ثمن البنزين وتوكل على الله

ـ حسنا ! سأدفع.. اعرف انك شحيح ولئيم منذ عرفتك .. السيجارة كنت تحم بالنا على أخذها منك

ـ إلى أين ؟

ـ إلى ورشة طلب مني صاحب سرقة عدة منها مقابل مبلغ

قال قويدر : ماذا ستسرق؟

ـ هذا الصاحب العزيز كان يعمل مع معلم حدادة وطرده من الورشة ولم يعطه أجرته فأخذني

بتكسي أجرة إلى المكان ودلني على المكان الذي يضع فيه الحداد أدوات الشغل أثناء العمل في الورشات ..مثل صاروخ القص والجلخ والديرلات وغير ذلك (وهو جهاز كهربائي يستخدم لحفر الثقوب أو ربط المسامير)



فقال خرزة : يريدك أن تسرق وأين هو ؟

ـ سآخذه معي أنا علي فتح قفل المخزن وهو سيختار ما يشاء من العدة وسنأخذها إلى سوق الخردة ونبيعها بثمن بخس انتقاما من سليم الحداد والعملية كما ترون تحتاج لسيارة خاصة افضل من سيارة عمومي

***



اتصل عوني بالمقهى الذي توقع أن يكون فيه خرزة واخبره أن والده سقط ميتا في السوق ، ونقل ميتا إلى مستشفى ألفا بيتا ، فترك المقهى مودعا رفاق الشدة واتجه بسيارته للمستشفى الأجنبي ألفا بيتا ، وهناك وجد خاله واحد أعمامه ينتظرون تقرير الطب الشرعي فسلم ، وسمع للقصة بأن عجيلي كان يحمل سلة الشغل الكبيرة يريد نقل بضاعة لسيارة احدهم وفي الطريق إلى السيارة الخاصة فقد الوعي وسقط ميتا ، ويقال جلطة قلبية سريعة ، بعد تحقيق سريع من قبل شرطة المستشفى افرج عن الجثة ، ونقلت لشارع الجزائر في سيدي عدنان ، وتأجل الدفن لظهر اليوم التالي ، لا يحب الناس الدفن ليلا رغم جوازه ، ونامت جثة عجيلي في بيته لليوم التالي حتى يقوم مغسل الأموات بغسلها غسل الميت ؛ لتنقل لأقرب مسجد في الحي ليصار إلى دفنها بمقبرة حي الزيتونة ، وكان العزاء في بيت عوني خال خرزة ثلاثة أيام ثم انفض السامر وخلال العزاء احبر عوني ابن أخته أن ابنه زيادا سيتزوج أخته مليكة وسيتأخر الزواج لبعد الأربعين ، وكان كلاما سابقا حدث حول



ذلك ، وعرض عليه ابنته فاعتذر خرزة انه بعد فسخ خطبة لمياء صرف نظرا عن مشروع الزواج من قريبة أو من بعيدة ، فلم يهتم عوني برفضه واعتذاره ، فهو يراه سيكون نسخة من أبيه عندما يكبر ويصل الثلاثين ، ولم يكن خرزة هو الآخر معجبا بزياد ، فهو افسد أخوته واقبحهم ، ولكن البنت قريبة له ، وخاله يرعاهم وهم صغارا بحكم القرابة والمجاورة

***

اتصل مساء ليلة بفيروز في البيت ؛ حيث يحمل رقم هاتف منزلها داعيا لها ولشقيقها سمحان صديق السهر في النادي أو ملهى ريحانة لحضور فيلم يعرض في احدى دور السينما بالمدينة فدعته لزيارتها في البيت فوالدها كان في المستشفى ، وعادت به من ساعة مضت وسيحضران الفيلم ليلة قادمة ، فانتقل بسيارته القرقعة إلى بيت فيروز وشقيقها سمحان سائق مصنع الغذاء وفتحت له الباب وعانقته مرحبة ، ودخل غرفة والدها العليل مسلما وداعيا له بالسلامة ، ثم رجعت به لصالون البيت ، وذهبت للمطبخ لصنع الشاي ووضعته على مائدة الصالون وأحضرت بعض الخمر وقالت : أنت اشرب الشاي وانا سأشرب قليلا من هذا .. أنت لا تحب الخمر .. كنت استغرب من ذهابك لملهى أختك ولا تسكر ؟.. وهناك الناس تذهب للسكر والرقص والطرب

ـ أنا لا احب مثل هذه الملاهي .. قليلا ما ادخلها ..قليلا ما اشرب ؛ ربما فنجانا منها .. أبي سكير من الطراز الأول ومات قبل أسابيع

قالت : علمت من ريحانة .. أنت لا يوجد هاتف في بيتكم

ـ ليس له لزوم .. واذا احجنا لاتصال يكون من دكان أبي صبري جار البيت .. أين شقيقك سمحان ؟

ـ تراه في الملهى في حضن امرأة

ـ حضن امرأة

ـ وهل هناك حضن امرأة ؟

ـ ألا تعرف ؟! هناك حجرات سرية للدعارة يا خرزة

قال غير مصدق : أول مرة اعرف! أنا فكرت انه مرقص ومطعم أما دعارة فأين؟!

قالت غير مصدقة انه لا يعرف : أنا كنت افكر انك تعرف ؛ ولكنك لا تحب الكلام في ذلك

ـ صدقيني لا اعرف

ـ ألا تعرف ماذا تشتغل أختك هناك ؟

ـ اعرف أنها نادلة تسقي السكارى الكحول وتقدم لهم الطعام مثل زوجها شادي

ـ هذا أنت جاهل ولا تلاحظ الزبائن بشكل جيد!

ـ الزبائن ما لهم ؟

ـ هل تظن انهم يأتون للأكل والرقص وسماع الانغام فقط ؟!.. هناك يا معلم حجرات سرية لممارسة البغاء والدعارة

ـ لم انتبه لها

ـ أنا لا افشي سرا إنها معروفة للزبائن .. عند الحمامات التي ذهب إليها المحاسب ليلة السرقة كما تذكر وترك صندوق الكاش بدون إغلاق .. هناك غرفة للزينة والمكياج لزبائن الملهى خاصة النساء يحسن من وجوههن وكحلهن وما يهم الرجال منهن .. وهناك باب يحسبه الغشيم باب حمام أو مرحاض ؛ ولكن منه يصعد الزبون الذي يريد ممارسة الدعارة درجا إلى الطابق الأعلى حيث تكون بعض فتيات الجنس يتنظرن رجال الأعمال الذين يدفعون مقابل البغاء وأخي سمحان يذهب لذلك الغرض .. وهناك أيضا يمكنك اخذ إبرة مخدرات من قبل فتاة مختصة بذلك .. فسمحان وغيره يذهبون لذلك الملهى لفعل ذلك .. هل كنت تراه يراقص فتاة ؟ ..أنا كنت أظنك تعرف ؛ لأن أختك تشتغل هناك تعمل في البغاء

قال شبه مصدوم : لم تحدثني بتلك الأسرار افهم أنها تعمل بالدعارة .. والشغل داخل الملهى تغطية

ـ ها أنت فهمت .. فشادي قواد محترف .. يصيد الفتيات ثم يعمل معهن عقد زواج مزيف أمام

أهاليهن.. ثم يمتهن المهنة تلك عندما يبدأ الناس بالرقص وتخفف الإضاءة يذهبن لغرف استقبال الزبائن بأحلى تبرج وزينة

ـ يعني أن أختي متزوجة صورة لا حقيقة

ـ مثلها مثل غيرها .. هؤلاء البنات يكن يعملن في السوق ، فيذهب شادي لشراء ملابس منهن ثم يعرض عليهن الزواج أو مباشرة في الدعارة .. فمنهن يقبلن بدون أي شكل من أشكال الزواج .. وبعضهن يظهرن أمام أهلهن بأنهن وجدن عريسا مثل أختك ريحانة ألم تكن تلاحظ اختفاءها لبعض الوقت عند بداية حفلة الرقص والديسكو والأغاني ؟ ولا يبق للخدمة سوى القليل من الشباب والشابات لتقديم الشراب لمن لا يريد الرقص

ـ كنت الحظ ذلك ؛ لكني كنت افسره بالتعب والاستراحة لبعض الوقت حتى تتوقف حفلة الرقص والغناء ويعدن للخدمة .. الآن فهمت أنها تكون في حضن زبون

ـ نعم ، واخي يذهب لهذه الغاية بعد فشله بالزواج يبحث عن مثل هذه الأماكن لقضاء شهوته ويأخذ جرعة مخدرات فهو مدمن عليها قليلا

ـ وأنت لماذا ترافقينه ؟

ـ تغطية وملل من البيت واحب الرقص والموسيقى الأجنبية ألم تكن تراني مثل السكرانة من الرفص والخمر ؟ .. وأنت لماذا تعلقت بالملهى ؟ ظننتك في البداية ترغب بجسدي هكذا يتقرب إلينا الرجال

ـ لم افعل اكثر مما تعرفينه مع أي فتاة عرفتها.. مجرد صديقات للمداعبة والتقبيل ومرافقتهن لمطعم أو مسرحية أو سينما حتى زواج منهن لم أوفق اليه ..وبالنسبة لأختي لم يكن يهمني ما تفعل .. والسبب أنها قدمت جسدها دون مقابل لكثير من شباب الحي وغيرهم .. لم تكن شريفة عندما تزوجت المدعو شاديا .. هي اكبر مني سنا .. فظروف بيتنا سيئة .. أبي طول اليل سكران يعمل في النهار ويسكر فيهن بالليل .. فهل هذا سيربينا ؟ وأمي دائما تتظاهر بالضعف والمرض فلذك كلامك لم يصدمني كثيرا .. وانا سررت لزواجها قلت تتخلص من كثرة الزناة ولا تهتم

لتعليق مني أو من اختنا الأصغر .. سقطت في الهاوية وهي في المرحلة الثانوية .. كانت تغيب عن البيت ليلة أو ليلتين وتزعم لأمي بأنها تدرس عند صديقة.. ثم أمي عرفت الطابق فسكتت لذلك فرحت لزواجها من شادي ، وظنته شريفا وقع في غرام ابنتها ؛ لذلك ربما لاحظت العلاقة الباردة بيننا .. وأما لماذا تقربت إليك ؟

قالت : لماذا ؟ هل تفكر بأن نتزوج ؟

ـ هذا ما فكرت به جهتك .. والذي أعاقني عن متابعة ذلك شربك للخمر حتى الثمالة أحيانا وأنت تعملين بمدرسة تكونين فيها في الصباح

ـ قلت لك انني لا اشرب بعد الثانية صباحا حتى ادع مجالا للاستيقاظ بالوقت المناسب ولما أعود للبيت بعد إنهاء سمحان سهرته مع فتيات الليل .. اشرب كثيرا من القهوة لتخفف من مفعول الشراب وحتى ولو وصلت المدرسة متأخرة لا احد يهتم بتأخر سكرتيرة نصف ساعة زمان .. وانا كما تعلم من عشرتنا لا اذهب يوميا للملهى .. اكثر شيء ثلاث مرات في الأسبوع ولي أصدقاء غيرك يا خرزة افندي

ـ أنا فعلا ارغب بالزواج ولكن لا املك الكثير من المال .. فهذا الذي يعيقني على الإقدام عليه

فاجأته بالقول : هل أنت الذي سرق المحاسب ؟

قال باسما : اعتقد المحاسب نفسه سرق المال .. وترك الكاش مفتوحا وصعد للبغاء مع إحداهن ودفع لها جزءا من المال وعاد مدعيا أن احدهم عبث في الصندوق

ـ ولماذا اتهموك؟

ـ لأنني اخو ريحانة الفاجرة ادركت ذلك من كلامك الليلة .. فهم لم يبلغوا الشرطة فهم يعرفون أو المدير يعرف من سرقه .. فطردوني دون اتهامي ؛ لعلك لاحظت انهم لم يقوموا بتفتيشي

ـ فعلا لم يفعلوا

ـ اعتقد أن ريحانة هي من وجهتهم للخلاص مني لصحبتي لك ولشقيقك احد زبائنها فخشيت أن اعرف ما سمعته منك الليلة .. ما الذي أصاب والدك اليوم وأين امك نسيت أن أسأل ؟

ـ أبي مصاب بكذا جلطة دماغية ، كان يعمل في مصنع أخي وفي الإدارة كشريك ثم مرض من سنتين اعتقد انه لم يعد قادر على العمل وأما أمي فهي تعيش مع أخ لي اكبر من سمحان متزوج وتعيش معه لأنها شبه مطلقة ، وترفض خدمة أبي ومساعدته فطلب منها تركه وهناك أخت اكبر منا متزوجة وظللت أنا وسمحان معه

ـ هل نخطب ؟

ـ كيف ؟

ـ كما يخطب الناس .. هل خطبت من قبل ؟

ـ مرتان ولم نكمل المشوار .. ها هو صوت سيارة سمحان .. سأفكر سأفكر .. لا احب بعد فشلي مرتين أن ارتبط بخطبة طويلة زواج على السريع قبل أن تكشف عيوب الشخص أمام الخطيب

ـ وهل يخلو احد من العيوب؟

***

أسرار الملهى

عاد خرزة للبيت ودخل غرفته يراجع المعلومات التي القتها فيروز على مسامعه ورجح صدق تلك الأسرار ؛ لكنه لم يفهم لم كشفتها هذا الوقت؟ وكيف عرفتها ؟ بنفسها أم من شقيقها سمحان تاجر الممنوعات ؟ أم تريد معرفة مدى معرفته لحياة أخته السرية ولم صمته ؟! ولماذا كان يرتاد الملهى ؟هل فقط للطعام والرقص؟ أم يأخذ مالا من ريحانة للسكوت ؟ ، لم تره يسعى لتلك الحجرات السرية ولا للمخدرات ولا للخمر .. امر أكيد حيرها .. فسأل نفسه ألها علاقة بتلك الغرف ؟ هل مارست الدعارة فيها ؟ أو هل كشف لها سمحان تلك الأسرار ؟ لابد أن أحدا ارشده لذلك المكان .. الدعارة ممنوعة بالقانون ؛ لذلك تكون خفية .. فهو يعرف وسمع من رفاق المقهى عن مثل هذه الأماكن التي تعرف بأوكار الدعارة ؛ ولكنه لم يزرها ، لم تحبب اليه الدعارة رغم فسقه وحبه لمصاحبة البنات منذ كان طالبا في الإعدادية ؛ ولكنه كان يجاري ويماثل التلاميذ الآخرين عن جهل وسذاجة وتقليد ومفاخرة ، ولما دخل فترة الثانوية كان يعمل مع أمين ومحمد في الكهرباء ، فيروز هل تصلح أن تكون زوجة ؟ لم استطع سؤلها كيف عرفت أسرار الملهى ؟هل كانت احدى ضحايا شادي في تلك الغرف السرية ؟ وهل كل أو اكثر زبائن الملهى يأتون للبغاء ؟ وكم يدفعون لهن ؟ ريحانة معها سيارة وتضع عقدا على عنقها خادمة وتلبس ملابسا ثمينة وعقدا ؟ لم افكر جيدا ظننت أن أكثرها من زوجها شادي ؟ لم اندهش لحقارة ريحانة .. لم يقصر رفاقها ووصفها بأشد كلمات الفجر والفحش .. ولما يلومنني أنا ؟ ماذا افعل لها ؟ هل اقتلها كما يفعل بعض الأغبياء؟ واقضي عمري سجينا أو معدوما .. لماذا كشفت فيروز ذلك اليوم ؟ هل تعتقد انني سرقت المال من الملهى ؟ هل رأتني ؟ كانت طريقة طردي غريبة لم توجه لي تهمة السرقة ، وجهت للعاملين .. هل رأني احدهم وسكتوا لأن أختي تعمل في الدعارة والفحش ؟ خشوا أن يكبر الموضوع وتكشف الأسرار للمغفل ؟ المحاسب لماذا ترك الصندوق مفتوحا تلك الليلة ؟ أم يفعل ذلك دائما ؟ .. الأفضل لي أن اصمت وانسى فيروز وشقيق فيروز وريحانة وشاديا ؛ فليس من ورائهم إلا الهم والغم .. سيرمون

ريحانة بعد حين إلى الشارع بزعم الطلاق ، هؤلاء فتيات الملاهي كما نسمع أعمارهن قصيرة في الملاهي .. تظهر فتيات اصغر للعمل فيصبحن فتيات شوارع .. هل فيروز تصلح زوجة ؟ فالمال موجود مجوهرات رأفت أو الأصح زوجة رأفت ؛ لكن كيف سأظهره للعلن ؟ من يمكنه أن يداين مبلغا كبيرا لرجل لا يعمل من شهور؟

تزوجت مليكة بعد وفاة والدها بشهرين تزوجها ابن خالها عوني زياد كان صديقا لها في الشارع في زمن مضى .. وها هو يصر واصر على زواجها ، رحلت إلى بيت الخال زوجة لابنه سيعيش معهم فترة حتى يأتي دور زواج الذي بعده فيرحل .. زياد يعمل في شركة بناء معلم نجار .. شاطر في الشغل ، وهو يحب مليكة رغم تفلتها منه مع آخرين قبل أن تهدأ ؛ لكنه اصر أن يكون زوجها وها هو نجح ..سأهتم بالعمل كسائق .. قرب موعد الفحص لدرجة العمومي العمر سيسمح بالتقدم

***

كانت ريحانة في زيارة أمها بعد زواج مليكة ، وكان هو في البيت فخرج وسلم وقال : أين المعلم شادي ؟ لم لم يأت لزيارة حماته ويبارك لها بزواج ابنتها الصغرى ؟

نظرت في وجهه وقالت : تركته مريض يعاني من الأنفلونزا

ـ هل عرف مديركم من سرق ماله ؟

ضحكت وقالت : أنت الذي سرقت مديري

ـ أنا أم المحاسب الذي سرقها ليصعد لأعلى

قالت متحيرة : ليصعد لأعلى أين اعلى؟

ـ إلى غرف الحب والمخدرات

ـ ماذا تقول يا مجنون هل هناك غرف للحب والمخدرات؟

ـ اعرف كل شيء لا داعي للسذاجة .. لماذا لم تفتشوني يوم السرقة ؟ بدلا من طردي دون سابق إنذار مثل كلب حيوان اجرب

ـ لا تتغابى .. هناك من رآك قرب الصندوق .. ومن اجلي سكتوا .. وانا تكفلت بدفعها بدلا من الفضيحة ورفيقتك فيروز تعرف ذلك

ـ ولماذا تدفعين عني ؟ لا أصدقك يا بنت عجيلي .. كيف تجدين نفسك مع قوادك شادي؟ وكم واحدة منكن على ذمته ؟

قامت متظاهرة بالغضب : شيء لا يخصك يا شريف .. أنت حرامي من زمان .. لماذا كنت تعود قرب الفجر ؟ لسنا غبيات يا احمق

ـ أنا بأعترف انني حرامي .. الحرمنة افضل من الدعارة

ـ فيروز قالت لك ذلك .. كانت مثلي اليوم ؛ لكنها مرضت جنسيا وحبلت وأجهضت من اجل ذلك تركت الدعارة يا لبيب

كرر قائلا : من اجل ذلك تركت الدعارة ! ولكنها تعمل سكرتيرة

ـ سكرتيرة ماذا يا احمق ؟

ـ هي تقول؟

ـ هي تقول ذلك لواحد مثلك مغفل غبي .. كانت فتاة ملهى قبل مرضها ، وقبل أن اعرفها أنا اعرف صاحبتك وشقيقة المدمن اكثر منك .. إياك أن تتحدث بصفة المعرفة خليك حرامي وبس

***

لما خرجت مودعة لامها قال : ماذا تعمل فيروز إذن ؟ في أي مدرسة تشتغل ؟ أين أعيش أنا ؟ ماذا هذه الحياة ؟ تريد فيروز زواجا سريعا خشية معرفة العيوب أي عيوب تخشى كشفها؟ .. إنها لا تعمل في مدرسة .. أين تعمل ؟ لم اهتم كثيرا بمعرفة طبيعة عملها .. ما هو عمل السكرتيرة في المدارس ؟ حيث تذهب متأخرة ولا احد يهتم بتأخرها .. أنا فعلا غبي واحمق طيب ما يهمني من معرفة ذلك .. من رآني اسرق صندوق الملهى ؟ وهل حقا سكتوا عني لأن ريحانة ستدفع المسروق؟ ولابد أنها دفعته .. لولا انني الذي سرقت لقلت لعبة استغلوا سرقتي ليلعبوا على بعض .. كيف سأعرف أسرار الست فيروز؟ ولماذا كشفت دعارة شادي والغرف

السرية؟.. كلام ريحانة الحاد معي يدل على صحة معلومات فيروز .. هل كانت احدى العاملات قبل ظهور ريحانة ؟ ..هل أتزوجها ؟ولماذا أحببتها أنا ؟ لقد أتى الملهى غيرها؛ وربما اجمل من سحر عينيها ..لم تطلب النوم معها .. رغم طول مدة الصحبة.. قربت أن تمضي سنة من معرفتها .. وهي كذلك ترى انني حرامي .. هل استطيع البعد عنها كما بعدت عن غيرها من فتيات السهر والحب ؟

كان مصدوما مما سمع من أخته عن فيروز وما سمع من فيروز عن أخته، وكان يستغرب من مرافقة فيروز لشقيقها إلى بيت الدعارة هل لمجرد الأكل أو التغطية على أخيها من شيء ما ؟ وخلص إلى نتيجة سهلة وهي نسيان فيروز كما نسي غيرها .. وما هو عمل فيروز ما دامت تحب إخفاء مهنتها عنه؟ .. عاد للمقهى ليلة ليسهر مع رايق وقويدر وليلعب الشدة معهم ، ووجد قويدرا يجلس وحده يؤرجل ويشرب الشاي فقال مستغربا : وحدك أين الزملاء والشلة ؟ أين رايق وعرفان وسالم ؟

نهض معانقا وقال : أين أنت يا رجل؟ لك أسبوع لم يطل رأسك

ـ مشغول أين الشباب ؟

ـ كلكم مشغلون يظهر لي

ـ رايق ماذا فعل مع صبي الحداد ؟

تنهد قويدر بحزن وكاد الدمع يطفر من عينيه وقال : صبي الحداد ورطه في السرقة التي أخبرت بها ، وسرقوا عدة الرجل أو جزءا منها ، ولما انكشف الأمر للحداد بلغ الشرطة عن الصبي ، ومع كم بوكس وشلوط اعترف وساقهم للمحل الذي يشتري المسروقات فصودر المحل واخذ المسروق واعترف على شريكه رايق فاتح الأقفال الرديئة والقي الجميع بالسجن غير الغرامات قال متظاهرا بالعطف على رايق : نصحت رايقا كما تذكر وقلت دعك من قفل الحداد

ـ اذكر .. ولم يسمع وأنت نجوت منها برفضك المساعدة بسيارتك

ـ أنا لا احب سرقة مثل هذه الأشياء السخيفة .. قبل فترة نصبت على محل بسرقة انبوبتين غاز

ـ كيف ؟ وماذا تربح من أنبوبتين غاز ؟

ـ مصروف جيب وتعبئة بنزين للسيارة

ـ أنا اليوم تبهدلت .. نشلت محفظة في السوق ولم اجد فيها إلا خمس ليرات فأخذتها والقيت المحفظة ، ثم سمعت احدهم يقول من سقطت محفظته ؟ فصاح رجل أنا نشلت محفظتي ولما أخذها اتهم المنادي بسرقة الخمسة وصارت طوشة أنا لست أنا ، ثم قال لي احدهم اسمع يا قويدر رجع المصاري قبل أن أفضحك فاستسلمت وأعطيته إياها وهربت من السوق صرت معروفا سأنتقل لسوق آخر من أسواق وسط المدينة

ـ أنا من زمان نصحتك قلت لك لا تعمل في سوق واحد دائما غير وبدل ..رايق في الحبس كم شهرا؟

ـ لا ادري أنا سمعت انه محبوس

طلب نرجيلة مثل قويدر وكوبا من القهوة المرة وقال : أخباركم مزعجة اليوم

قبل بداية النهار حضر عوني الخال لبيت أم خرزة وايقظه من النوم ساخطا غاضبا فاستيقظ الشاب قائلا وهو يتناول علبة السجائر ويشعل سيجارة وقال : ما دهاك يا خال ؟

ـ دهاني استهتارك بأمر البيت .. الجيران فزعوا عصر البارحة على صراخها وقالوا الحق أم خرزة بتصيح بصوت عال فجئت وأخذتها على العيادة وغزوها إبرة واشترينا لها دواء وأنت حضرتك بتتهمل في الشوارع قلت لك لما أخذنا أختك امك يلزمها زوجة في البيت ، وعرضت عليك ابنتي يا خالي .. البيت يلزمه واحدة تظل مع امك .. أنت في العمل أو في القهوة أو السينما لا يصح أن تترك امك الضعيفة والعليلة بدون احد معها ..

ـ وانا لا ارغب بالزواج ماذا افعل ؟

ـ استأجر بيتا وسأسكن أختك وزوجها معها حتى تتزوج في يوم من الأيام ويفرغا لك البيت

ـ هل هذا حل ؟

ـ لا يجوز أن تبقى أختي بدون احد معها

ـ سأقبل بالحل .. عليّ أن ابحث عن خشة

تم حل مشكلة أم خرزة ، فرحل الشاب إلى بيت في حي من أحياء المدينة ، ورحلت مليكة وزياد للعيش معها ، كان يوما في زيارة امه بعد الرحيل فقالت له شقيقته : ريحانة زارتنا وقالت عليك أن تتصل بفيروز صديقة الملهى

ـ حضرت ريحانة برسالة من فيروز هذه هي الرسالة

قالت : فقط اتصل فيها فأنت تعرف رقم بيتها قالت لي

قضى بعض الوقت مع امه واخته ، ولما عاد زياد خرج ولما وجد تلفونا اتصل ببيت فيروز وسمحان فردت فيروز : لي أيام انتظر مكالمتك لي فترة لم اسمع صوتك ما الأمر؟

ـ تركت البيت لأسباب خاصة وماذا تريد مني حضرة السكرتيرة ؟وشدد على لفظة السكرتيرة فلم تهتم للإشارة التي فهمتها فقالت : كنا نتحدث عن الزواج في آخر لقاء

ـ لا استطيع الزواج السريع يا صديقتي فقلت انتهى ما بيننا

ـ حسنا ! توقعت ذلك تركت لك كرت دعوة مع أختك لحضور عرسي وجدت عريسا

ـ بهذه السرعة

ـ بعد فراقك بيومين أو ثلاث أحببت أن اجرب الزواج الحقيقي بعد صحبتك سنة

ـ مشكورة قد أتمكن من الحضور ومبارك العريس

ـ مع السلامة

***

درجات رخص القيادة تختلف من بلد لآخر، ولكنها بشكل عام تصنف حسب نوع المركبة التي تسمح بقيادتها، مثل الدراجات النارية ، السيارات الخاصة، الشاحنات، والحافلات وفئات أخرى للشاحنات والحافلات حسب وزنها وسعة الركاب تختلف التفاصيل الدقيقة لتصنيفات وفئات رخص القيادة حسب التشريعات المحلية لكل دولة يُنصح دائمًا بالتحقق من إدارة المرور المحلية في بلدك للحصول على التصنيف الدقيق للرخصة التي تناسب احتياجاتك

حسب نوع الاستخدام :رخصة تجارية أو شخصية أو مؤقتة. رخصة مبتدئة أو رخصة مهنية متقدمة حسب المنطقة الجغرافية :رخصة محلية أو رخصة دولية.

***

تمكن خرزة من رفع درجة رخصة القيادة ثم اشتغل بديلا على سيارة زميل يعمل على احد خطوط المدينة ، حتى تمكن من العمل في مكتب احد تكاسي العاصمة على سيارة احدهم مقابل أتعاب المكتب وحصة لصاحب السيارة ، لأن السيارات التابعة للمكاتب تكون للسائق حرية التنقل بين مناطق وأحياء المدينة الواحدة بحرية اكثر من الالتزام بخط سير واحد ، كان يبدأ الشغل من بزوغ الشمس حتى نصف الليل أو اكثر ، يتجول بنقل الزبائن في أرجاء المدينة ومن خلال العمل يتعرف على سواقين مثله ، واهم مناطق العمل والشوارع السريعة القليلة الحركة لكسب الوقت ؛ لأن المربح يتبع عدد التنقلات خلال ساعات العمل .

كانت السيارة تقل شخصا واحدا أو اثنين أو اكثر بنفس الأجرة ، وكان مالك السيارة اذا ضمن سلامة السيارة ، وضمن أجرة اليومية يستمر السائق بالعلاقة معه ، ولكن اذا رأى تقصيرا في الشغل وكثرة المخالفات يسحب سيارته من الأجير ؛ لكن الذي حدث أن السيارة سرقت أثناء جلوسه في المقهى لشرب الشاي والاستراحة بعض الوقت ، فلما خرج لم يجد السيارة في الشارع واتصل بالشرطة مبلغا عن سرقة سيارته ، وبلغ مالك السيارة باختفائها ، ولكن المالك بعد فشل الشرطة بالعثور عليها اتهم خرزة بسرقتها ؛ ولكنه استطاع أن يجلب شهودا انه كان في المقهى أثناء الاختفاء وشهد أصحاب المحلات أن السيارة توقفت أمام محلاتهم لبعض الوقت كالعادة ، وبعد أسبوع تمكنت الشرطة من العثور على السيارة في مدينة ريفية متوقفة بدون بنزين وبعد تدقيق وتحقيق تبين أن السيارة قد نقل فيها مخدرات ، وعرف ذلك بواسطة الكلاب الخاصة والمدربة على ذلك ، ووضع خرزة وصاحب السيارة تحت السؤال من جديد وهل لهم علاقة بالمخدرات وتوزيعها ؟ وصنع تمثيلية السرقة لتنفيذ عملية نقل المخدرات بها ، فتعقد خرزة من العمل على سيارات المكاتب .

دبر له معرفة العمل سائقا في مصنع البان ؛ حيث يقوم بتوزيع الألبان يوميا والأجبان ومنتوجات الشركة على محلات وأماكن معينة ويساعده في ذلك عامل مختص بالتحميل والتنزيل ومحاسبة المحلات وتوريد الثمن لقسم المحاسبة في المصنع

***

موزع الألبان هو الشخص أو الشركة التي تقوم بتوزيع منتجات الألبان مثل الحليب والجبن والزبادي وغيرها من منتجات الحليب من المصنع أو المزرعة إلى المستهلكين ، يمكن أن يكون هذا الموزع هو المصنع نفسه أو شركة تجارية تتخصص في نقل وبيع منتجات الألبان في مناطق مختلفة .

ماذا يفعل موزع الألبان؟ يقوم بتخزين منتجات الألبان في ظروف مناسبة ونقلها إلى المتاجر أو نقاط البيع المختلفة .. يضمن وصول منتجات الألبان الطازجة إلى المستهلكين في الأسواق والمحلات .

المصانع الكبرى: هو الذي يقوم بتصنيع الألبان وتوزيعها مباشرة .. الشركات التي تتخصص في شراء الألبان من المزارع والمصانع وتوزيعها على المحلات التجارية الصغيرة والكبيرة

***

وظيفته لخرزة هي نقل البضاعة إلى أصحاب البقالات والمطاعم ، والعامل معه هو الذي يقوم بتنزيلها واخذ القديم المنتهي المدة التجارية أو الصلاحية ويقوم العامل بعمل الفواتير بالحمولة والراجع ، مهمة خرزة القيادة وتعاطي الدخان أثناء فترة البيع ، أثناء تحميل السيارة في الصباح قبل الانطلاق للتوزيع كان يجلس في مكتب مديرة التوزيع ، موظفة ذات خبرة ومعرفة بخريطة وحركة كل سيارة توزيع يوميا ، كانت تلك المديرة عزباء فأخذت تلف وتدور حول خرزة رغم أنها اكبر منه سنا ، وتزعم له أن عندها شقة ، وتبحث عن زوج محترم فجاراها خرزة بأحلامها من الزواج منها مما أثار لغطا في الشركة .. كيف تتعلق بشاب ابن خمس وعشرين سنة وهي تزيد عن الثلاثين وهو سائق وهي مديرة توزيع .. في الحقيقة صدقت الاعيب خرزة

وهو رغب أن يعمل لديها فتى الأحلام وكانت تدعى مديحة .. ثم صدق أنها تريده زوجا وصلت أخبار خرزة ومديحة لمدير الشركة العام فاستدعاه وسأله عن عمق العلاقة بينهما وهل حقا يرغب بالزواج منها ؟ فزعم خرزة انه فعلا يفكر بالزواج ، وانه لم يسبق له الزواج ، وعلم من المدير أنها مطلقة تزوجت بعد الجامعة ، وبعد سنة طلقها زوجها ، فأكد له أن طلاقها لا يهمه ؛ ولكنهما لم يحسما الأمر بعد ، هو الذي أدهش المدير سرعة انتشار خبر تعلقهما ببعض رغم وجود كثير من الشباب العزاب في المصنع قبل وجود خرزة فيه فعلق : الحب من الله يا سيد رستم .. نحن على وشك حسم الأمر فلديها شقة

قال : أخذتها من زوجها بدلا من مؤخر الزواج.. هل قالت لك عن سبب طلاقها الحقيقي ؟

ـ لم اعرف أنها مطلقة إلا منك .. ظننتها عانسا من لهفتها على الزواج مني ولا ادرك السبب .. بدأ الحديث بيننا أنت متزوج يا خرزة فقلت لها صدقا لم يحصل النصيب ولم اجد بنت الحلال فقالت أنا اكبر منك ما رأيك أن تتزوجني .. فضحكت يا سيدي وظننتها تسخر مني ثم علمت أنها تتكلم بشكل جدي ..فقلت لنفسي ما دامت راغبة بي ولديها شقة فلم لا نتزوج ؟.. المشكلة انني لا املك الكثير من المال فقالت : غير مهم ونحن نفكر بحسم الأمر

ـ إذا انت جاد تزوجها ..فهي محترمة وخبرة في الشركة أنت لم تتخرج من جامعة

ـ لم اصل الثانوية يا سيد رستم ابن سوق وسائق من سنوات قليلة

ـ ميسرة أمورك

***

صداقة قديمة

كان خرزة يوما يقود عربة المصنع في احد شوارع المدينة عندما رأى زحمة سيارات وتجمع الناس وتوقف السير فقيل له حادث وأضاف المجيب أن سيارة توزيع مثل سيارته الحادث معها فصف يمينا ليعرف سيارة أي مصنع السيارة ، ولما اقترب من سيارات الحادث تذكر انه يعرف سائق سيارة التوزيع فزاد قربه وقال : سيد سمحان سيد سمحان ما الذي حدث؟

التفت إليه المنادى وقال متفاجأ : السيد خرزة أهلا بك أين أنت يا رجل ؟

وتعانقا وعلم خرزة أن سيارة سمحان ضربت سيارة أمامه ، وتوقف السير بانتظار شرطي مرور لأن سيارته تابعة لشركة فعليه أن يحرر كروكة ومخالفة سير ، الكروكة هي مخطط يوضح تفاصيل حادث سير، وهذا ما أخر الانصراف ، واخبره خرزة انه يعمل مثله في شركة البان وطلب منه سمحان زيارته في بيت والده ، فاختار خرزة مقهى مشهور لتجديد الصداقة ، فقبل سمحان الدعوة ، ولما حضر الشرطي بدأ يخف توقف السيارات والزحام وغادر خرزة لسيارته ولما سلك السير تابع ابتعاده وهو يقول لماذا واعدته؟ من اجل أشياء قديمة من اجل معرفة أخبار فيروز منذ سمعت بانها تزوجت لم اسمع عنها شيئا حتى أخبار ريحانة لم اسمع عنها شيئا والاهم كيف عرف بوكر الدعارة في ذلك الملهى الليلي ؟

***

ذهب خرزة إلى مقهى المريخ الشهير قرب مسجد المدينة الكبير ، يعتبر المقهى كبيرا ربما يتسع لأكثر من مائتين زبون في آن واحد ، حتى أن اجتماعات حزبية تعقد فيه للتنظير والدعاية ، بعد جلوسه بقليل اقبل سمحان وتعانق الرجلان وبدا حديثهما عن نهاية الحادث فقال : انهى الشرطي المسألة الشرطية والحق عليّ بدون جدال وسجلت المخالفة المرورية وستخصم من راتبي .. وأنت ما أخبارك بعد سرقة الملهى ؟

ـ لم اسرق الملهى يا معلم لبسوني إياها هل رأيتهم يفتشونني ؟ أرادوا إبعادي عنها عن الملهى حتى لا اكتشف فسق أختي وعملها في الغرف السرية كما علمت لاحقا

ـ ألم تكن تعلم من الأول ؟

ـ كنت مغفلا وغبيا أنا اعتبرت المكان مكان تسلية ورقص وطعام أولا؛ ليس لي على الشراب ولا النسوان بدون أسباب بغضت نفسي ذلك .. أحيانا كنت اشرب فنجانا صغيرا بدل العصير احب العصائر ولعلك لاحظت بعدي عن الشراب

ـ ادركت ذلك ؛ لأنني ما رأيتك تطلبه وفي البداية ظننتك تأتي لذلك وللنساء حتى بينت لي فيروز رحمها الله ذلك

ـ فيروز ـ رحمها الله ـ ما القصة ؟!

ـ ألم تسمع من ريحانة؟

ـ لا أراها .. أنا تركت البيت لزوج أختي الثانية لرعاية أمي العليلة تحتاج لمن يعيش معها طوال اليوم ، وسكنت في عشة أو خشة .. هل ماتت فيروز؟

قال بحزم وشدة : انتحرت ، لم تمت موتة طبيعية انتحرت في الملهى أمام الناس

قال بحزن بين : أرجوك زدني معرفة بالمرحومة

ـ أنا توقعت أن تتزوجا كما قالت لي ليلة ؛ لكنك كنت ترغب بفترة خطوبة سنة على الأقل .. فيروز يا سيد سقطت كما سقطت أختك في براثن الفجار .. كانت فيروز منذ ابتعدت عن المدرسة تعمل في محل ملابس مع خالتي .. في اهم شارع لذلك في قلب المدينة .. ولم تكن تخلو حياتها الاجتماعية من رفاق صبيان وصبايا حتى اقتحم شادي القواد المحل لشراء ملابس نسائية ومن خلال بعض الزيارات اقنعها بالعمل خادمة في ملهى ليلي المعروف لك .. فجربت كم ليلة ثم أعجبتها حياة الانفلات والسهر لطول الليل ثم تزوجها أمامنا بمأذون مزيف ، ثم غرقت بالدعارة دون علمنا يا خرزة .. وبعد زمن قصير أصابها مرض جنسي مما أثار عجبنا كأسرة ، ثم خلال المرض تبين أنها حامل فظننّا أن كل ذلك من الزوج ، فسافر بها إلى أوروبا إلى دولة يسمح فيها بالإجهاض وبعد فترة تخلى عنها الملهى ، وزعمت لنا أنها طلقت ، ثم بعد معاناة المرض واستمرار العلاج وطلاقي لزوجتي الخائنة صارحتني بما حصل معها في الملهى من

العمل من فجر وزنا فصدمت ثم ذهبت للملهى ليس للانتقام ، فهي عادت للعمل مع الخالة لأن الحمل كان ينسب للزواج وكذلك المرض الجنسي الذي ضعف مع العلاج إلى حد كبير ، ذهبت هناك لبيع مخدرات لأنني كما أبيع غذاء الشركة أو المصنع اعرف من خلال العمل تجارة المخدرات وتعاطيها بشكل خفيف حقنة صغيرة ، فكنت ادبر لهم المخدرات ، وتباع سرا في الغرف السرية على شكل حقن أو مضغ ؛ فلذلك عندما تبدأ حفلة الرقص والغناء الغربي أتسلل إلى غرف الدعارة ساعة زمان وآخذ حقنة وأبيع ما حصلته .. ونخرج كأي زبون .. وتابعنا قصة ريحانة وغيرها من نساء شادي الفاجرات .. كانت فيروز ترافقني تغطية لي أي كأنني زبون معه حبيبته ذاهب للسمر والمتعة .. حتى كانت حادث السرقة التي قالوا انك فعلتها وتخلصوا منك لأن حضرة المحاسب يصعد للأعلى لأخذ نصيب الملهى من الدعارة ، وليدفع ثمن المخدرات لي بحجة انه ذهب للمرحاض

ـ نذهب لانتحار المرحومة

ـ بعدما طردت ظلت علاقتك مع فيروز كما فهمت من فيروز وانك تفكر بالزواج منها .. هي تزوجت قبل فيلم شادي من زبون محل خالتي ثم طلقها .. خلال غيابك وطردك أيها الصديق تعرفت فيروز على زبون غيرك .. ولما يئست من زواجك منها وقلة اتصالاتك تزوجته وبعد اشهر تركها متهما إياها أنها نقلت له مرضها الجنسي .. ويبدو ذلك صحيحا .. فطلبت من شادي بعد الطلاق تعويضا عما أصابها من مرض .. فرفض المدير وبعد فشلها ومحاولتها الفاشلة اطلقت على نفسها النار في مكتب المدير ونقلتها الشرطة ميتة .. أمام الصدمة اعترفت للشرطة ببيعي المخدرات للملهى ، ووجدوا ما قلت صحيحا واغلق الملهى بضعة شهور حتى تم تسوية القضية بأن المخدرات قضية مستقلة عن عمل الملهى .. وانا ابتعدت عن الملهى إلى غيره وأنت ما أخبارك بعد طردك واتهامك؟

***

قال المدير لمديحة مديرة التوزيع لما استدعاها لمكتبه : لقد جرت ثلاث سرقات في المصنع ما

القصة ؟

قالت : أول مرة يحدث هذا الأمر الخطير .. وحارس المصنع الليلي يقول إنه لم يشعر بأن أحدا دخل المصنع ليلا

ـ اعتقد أنه يستغرق في النوم ، فتخرج المسروقات من الجهة الخلفية ؛ حيث الخلاء حولنا .. لا اعرف من يسرق تلك الماكنات القديمة ماذا يستفاد منها ؟!

قالت : المهندس ايهاس مهندس الصيانة يقول تعاد صيانتها وتباع لمشاغل بيتية ؛ ليس لمصانع فقد ثلاث ماكنات لا تشغل مصنع ولا يعتقد أنها اختفت دفعة واحدة

ـ هل نجلب حارس ليلي آخر ؟

ـ لا ادري .. فالأفضل في رأيي التخلص من كل الأشياء القديمة

ـ نحن نحتفظ بها لقطع غيار حتى لا يتوقف العمل قبل وصول الجديد ، واحيانا الجديد لا يتوافق مع القديم لأن الصناعة كل حين تتطور .. هل ستتزوجين سائق التوزيع خرزة ؟

ـ شاب جاد ، لا يشرب المخدرات ولا يسكر مثل شباب اليوم

ـ لكنه اصغر منك بسنين هل يثبت الزواج ؟ ألا تخشين من الانفصال ؟

ـ أنا حقيقة سأتزوجه جكرا بزوجي السابق الذي تحداني أن اجد غيره من يتزوجني .. قلت له سأتزوج اصغر من سني .. والشاب غلبان ومقتنع بالزواج مني كما فهمت منه

ـ هل نبلغ الشرطة بالسرقة لتلك الماكنات القديمة ؟

ـ دورياتهم تمر باستمرار كما يقول عبد الحميد

ـ وهم مثل الآخرين يا مديحة بعد سكون الدنيا يذهبون لمكان يرقدون فيه

***

سافر خرزة بسرقاته القديمة إلى احدى الدول المجاورة ؛ ليتمكن من بيع مجوهراته المسروقة وقرر التخلص منها وتحويلها لمال ، وغاب عن المصنع ثلاثة أيام ، رجع بعدها بثروة تقرب من خمسة عشر الف دولار وطلب من خاله بأن يشتري له بيتا صغيرا بقيمتها ، كان يفكر بشراء

سيارة تكسي ، ولكنه بعد سرقة التكسي الذي اشتغل عليه فترة قصيرة ، لم يعد يفكر بتلك المهنة ، وفضل شغل المصانع على ذلك ، ولما تخلص من مسروقاته وكلف عونيا بشراء بيت له اتفق مع مديحة على قرب إعلان الخطبة أمام الناس وخلال شهور سيكون الزواج فقبل أهلها خطبتها له ، فهي سيدة مسؤولة عن نفسها وهي التي تكلفت بكل نفقات الحفلة وانتشر خبر خطبة خرزة من مديرة التسويق والتوزيع في الشركة وغيرها ، فقالت لخطيبها : أنا اعلم انني اكبر منك سنا ؛ ولكني أحببتك .. وجودك في المصنع كان شيئا جميلا لا ادري قلبي اختارك من بين كل من عمل في هذا المصنع وسأسعى إلى إسعادك يا حبيبي

ـ أنا أيضا أعجبت بك .. المحبة من الله .. وقد سعدت بحبي لك وأتمنى إسعادك أنا حياتي تعيسة يا حبيبتي .. أنا عرفت البنات منذ أول الشباب ؛ ولكني لم أوفق بحبيبة حتى التقيت بك فأتمنى أن تدوم المحبة في حياتنا

ـ هل ترغب بأي عمل آخر في المصنع ؟ فالمدير يرحب بذلك

ـ سأبقى عل البراد براد التوزيع حتى الزواج .. فالخروج افضل من البقاء خلف الماكنات ومراقبة خطوط الإنتاج

قالت : وقتها تحب التغيير فأنا جاهزة .. كيف تقضي مساءك بعد الدوام ؟

ـ مع الأصدقاء أو في المقاهي أو السينما

ـ الليلة سنسهر في سينما ونجلس قبلها في حديقة

ـ أنا جاهز فلست من عشاق لعب الورق

ـ خلاص كل ليلة نسهر معا إلا عندما اذهب لحضور حفلة خاصة بالصديقات

***

كعادة بنات الهوى لهن عمر استهلاك وصلاحية ، ثم يتخلص منهن بعد حين ، وهذا ما حصل مع ريحانة بعد سنوات سبع من العمل في ملهى شادي ، اعلن شادي طلاقها للناس ، وأصبحت في الشارع وكانت صدمة لأمها واختها مليكة وزياد ، فسكنت في غرفة خرزة كمطلقة في نظرهم

هم لا يعرفون حقيقة وظيفتها في الملهى إلا زوجة وخادمة طاولات ، فكانت تسألها أختها عن سبب طلاقها فتبكي وتقول : علموني الفساد ورموني في الشارع وجدوا من هي اجمل مني من زبونات الملهى .. سعيت أن انجب لتدوم حياتنا الزوجية وفشلت حتى استغني عني

ـ وهل أخذت حقوقك المالية ؟

ـ وضعتها في البنك في حسابي أين خرزة ؟

قالت : خرزة أحبته مديرة في مصنع الألبان وخطبها وهي اكبر منه بسبع سنوات

ـ يا الهي وقبل بها !

ـ وأيضا مطلقة معها فلوس وعندها بيت ..والصحيح هي التي خطبته .. وعملت هي حفلة الخطبة

ـ بس هو زوج

ـ بس زوج وعريس خطبة .. لم يتزوجا بعد .. حلوة البنت .. مطلقة مثلك وما عندها أطفال

ـ ألا يزوركم؟

ـ في السنة مرة .. وخالي والد زياد اشترى له بيتا

ـ خرزة اشترى بيتا

ـ اشتراه على دفع والبيت صغير في حيينا هذا

ـ وهل سيتزوج فيه ؟

ـ سيؤجره ؛ وربما أجره خالي .. هو يسكن في عشة على سطح احدى العمارات للنوم فقط دائما سهران

***

ذهبت ريحانة بعد طلاقها للسهر في الملهى كأي زبون ، فانزعج شادي ومديره ومديرتها من ترددها على الملهى ، ثم خروجها مع بعض زبائنها القدامى لبيوتهم أو شققهم ، فاضطر شادي وفتوات الملهى لطردها وعدم السماح بدخولها بأمر من المدير وزوجته وطليقها شادي.

فذات ليلة صحبت عشيقا معها ، وبعد مشاجرة خفيفة سمحوا لهم بالدخول فقال لها المدير : لماذا تحبين التشويش علينا وإزعاجنا عيشك عندنا توقف ؟!.. وأنت تعلمين هذه الصورة يا سيدة .. لا يمكن لفتاة العمل هنا ومعنا طوال حياتها .. الرجال يحبون التغيير والوجوه الجديدة

قالت : لم يقل لي شادي المجرم ذلك قبل سقوطي في وحلكم بعد أن عشت فترة في دعارتكم عرفت أن عملي لحين

ـ أخذت فلوسا بعدد شعر رأسك ماذا فعلت بها ؟ .. والسيارة التي معك من أين حصلت على ثمنها ؟ الملابس والجواهر من أين حصلت عليها ؟ أليس من خلال هذه السنوات يا حضرة السيدة ؟ كل شيء له نهاية .. هذا النادي سيكون له نهاية في يوم ما

ـ ولماذا تتضايقون من وجودي هنا مثل كل الرواد ؟

ـ هذه سياسة الملهى .. لا نريد من زبون يسأل عنك ونقول له غادرت العمل معنا ويراك في الملهى .. في بعض الرواد يتعلقون بواحدة ما داموا يأتون للمتعة هنا

قالت : أين شادي ؟ أريد أن أتكلم معه قبل مغادرتي النهاية

استدعي شادي الذي كان يجلس في مكتب المديرة فجاء بصحبتها فقال : سمعت انك ترغبين بالحديث معي

فتحت حقيبة اليد وقالت : سأعطيك هذا

ـ ما هو هذا ؟

أحرجت مسدسا واطلقت على الثلاث النار حتى اعتلى الصراخ ، وحضرت الشرطة والتحقيقات الجنائية فقتل شادي والمدير وأصيبت المديرة في رئتها واعتقلت ريحانة ، وتم إغلاق الملهى والنادي الليلي وعرض للبيع بعد هذا الحادث الصاعق ، واصبح المكان وأسباب الجريمة حديث الناس والصحافة ، واعترفت ريحانة بقصتها لبعض الصحف بالتفاصيل ، وأودعت السجن حتى تتم محاكمتها بقتل اثنين وجرح امرأة إصابة خطيرة .

***

اتصل سمحان لما علم بالحادث والجريمة بخرزة ولما اجتمعا في مقهى المريخ قال : أختك اشجع من أختي يا سيد خرزة ! كان يجب على فيروز بما أنها كانت تفكر بالموت أن تتخلص من شادي المخادع والمكار الذي يستدرج تلك الفتيات لوكر الدعارة

ـ الحق على الحكومة التي تسمح ببيوت الدعارة

قال : وهل اذا منعت الحكومة بيوت الدعارة تتوقف الدعارة ؟ فالقانون المعلن يمنع الدعارة في اغلب دول العالم كقانون ؛ ولكنه لا يطبق ، وتتدعي الشرطة أنها لا تعرف أو كما يقال تغض الطرف .. ما دامت الدعارة سرا ، فيعملون انفسهم لا يعلمون .. كبعض الدول تمنع استيراد الكحول علنا ؛ ولكنها توجد سرا ودخلت أمام أعين الجمارك .. والدعارة مال يا حلو .. أختك أو أختي عندما تركب سيارة باسمها وجواهر تعلق على صدرها وثياب بهرجة مقابل تسليم جسدها لرجل ساعة زمان تبيع نفسها كلها .. كان انتقامها في محله .. عشرات من الفتيات والنساء ضيعهن شادي إلى جهنم

ـ وهل تنتهي بالك مهنة القواد أو القوادة بقتل احدهم ؟ لا تنتهي يا صديقي سيظهر غيره

قال : للأسف كلامك صحيح ! ما هي اليوم مهنة .. يذهب احدهم يأتي عشرة مكانه .. ذكرت أختك قصتها لبغض الصحف

ـ كان عليها بعد الاغتيال الانتحار بدل أن تعدم شنقا

ـ هل تشنق النساء هنا ؟ لا اعتقد .. سجن مؤبد ربع قرن من السنين ما أخبار الخطيبة ؟

ـ لم نعد بذلك الانسجام بعد انتشار قصة أختي .. لقد عرفت أن شقيقتي بنت الملاهي

ـ ربما أولها

ـ المشكلة فيّ يا صديقي سأبدو هشا أمامها .. شقيق مجرمة

ـ وهل احد يستطيع التحكم في امه أو أخته أو حتى ابنته يا خرزة ؟

ـ معك حق .. هذا عصر النسوان وتحكم النساء فينا .. اذا طلبت فسخ الخطبة ونسيان الزواج ساترك البلد .. تحدثت مع صديق ليدبر لي هجرة إلى كندا أو أستراليا أو أوروبا سأغير البلد

ـ اذا كنت تستطيع ذلك افعل .. أنا بدأت افكر بالزواج .. وترك الفسق بشكل نهائي .. كنت مهزوزا من سيرة أختي ؛ ولكنك شجاع يا خرزة لا تكترث ؛ وكأن العرس عند الجيران

ـ هكذا تربينا يا معلم سمحان كل يغني على ليلاه .. هكذا كان الوالد لا اهتمام له بالبيت ولا الأكل .. مجرد سرير ينبطح عليه .. عمره ما صحي من الخمر .. فلذلك بغضت لي مما كان يتكون فيه.. وأمي طول عمرها ولليوم طريحة الفراش تحس كأنها ستموت وأنت تنظر إليها

ـ اذا سافرت اخبرني حتى أودعك

***

جلس خرزة في مكتب مديحة ينتظر فراغ الموزع من تعبئة سيارة التوزيع بالمواد التي سيقومان بتوزيعها ، فبعد أن قدم سيجارة مشتعلة للمديرة قالت : هذه القصة التي تتحدث عنها بعض الصحف تخص أختك .. روحي السائق قال لي ذلك .. هذه البنت التي ارتكبت جريمة النادي الليلي أختك يا خرزة

ـ صحيح هذه أختي اسمها ريحانة والمقتول احدهم زوجها وأحد قوادين النادي والملهى وظيفته رئيس خدم أمام الزبائن ويجلب الفتيات الساذجات لوكر سري على ظهر الملهى

ـ هل عرفت ذلك ؟

ـ عرفت ذلك بعد اكثر من سنة ، لم اكن اعرف إلا أنها خادمة للزبائن وزوجة للقواد شادي الزوج المزيف

ـ مزيف كيف ؟

ـ يجلب الفتيات للعمل كخادمات يقدمن الطعام والخمر لرواد الملهى وبعد فترة قصيرة يوقعهن بفخ الزنا ويتظاهر أمام أهلهن بالزواج منهن والأهل لا يدققون كثيرا بأخلاق الرجل .. فيحضر لهم مأذون مزيف مع أوراق رسمية كأنها رسمية وتصبح الفتاة زوجة في عيون الأهل ثم تملك الفتاة سيارة ومجوهرات من عمل الدعارة في غرف سرية للنادي بضع سنوات ، ثم يطلقها ويجلب غيرها .. أنا تعرفت على واحدة منهن قبل أن اطرد من النادي أصابها مرض

جنسي وحمل وأخذوها خارج البلد للإجهاض ثم طردت فيروز صديقتي هناك ، فبعد يأس قد تزوجت احدهم فنقلت له مرضها الجنسي ، فذهبت للملهى وانتحرت فيه وشقيقها صديق تعرفت عليه أثناء سهري معهم في النادي .. عصابة بغاء

قالت : نفس كلام الصحف .. صحف الفضائح ؛ لكنهم لم يذكروا قصة المنتحرة تلك

ـ لأن أختي الملعونة لم تذكرها لهم .. وانا لي اكثر من سنتين لم اتحدث معها والسجن افضل لها

قالت : أنا منذ سمعت من روحي وقلبي تغير ناحيتك

ـ أنا ساترك المصنع يا سيدة مديحة أنا لا يهمني حياة أختي أو أبي الميت عشت حرا طليقا وأعيش على سطح عمارة في عشة صغيرة .. وقتها تشائين انهي الأمر ؛ فليس بيننا أوراق سوى ذبلتين فقط وها أنا اخلع الذبلة . ووضعها على المكتب

ـ أنت مستعجل

ـ ولماذا انتظر ؟

ـ دعني افكر .. أنا أعجبت فيك فعلا ؛ لكن قصة القتل خوفتني

ـ لن أقتلك

ووضع الخاتم أمامها وقال: واعتبريني بخلع الذبلة قد استقلت أيضا

ـ اصبر تمهل لا تتعجل

ـ اصبر لماذا ؟!

ـ من سيقوم بشغلك اليوم ؟

ـ أي عامل حتى الموزع يسوق السيارة

ـ المحاسب غير موجود ؟

ـ يرسلهن على البنك

ـ دعني افكر

ـ لا داعي للتفكير ما بيننا انتهى .. أختي مجرمة وربما تعدم .. وأسيء لسمعتك وسمعة عائلتك

ـ هذا المزعج الأقارب زوجة أخ المجرمة لا يهمهم ظروف الجريمة ودوافها .. أخته قاتلة

ـ أنت معذورة يا سيدة مديحة

***

قال شقيقها لمديحة : هل صحيح أن أخت خطيبك مجرمة الملهى الليلي التي أذاعت الصحف قصتها وجريمتها

ـ صحيح واليوم أنهيت علاقتي به وترك الشغل معنا

ـ كيف كانت علاقته بها؟

روت له قصة لعب النادي بالفتيات المستهترات وبالزواج الصوري الكاذب ، ثم الخلاص منهم بعد انتهاء فترة الصلاحية بلغة المصانع ، فلم تحتمل الفتاة النهاية الكارثية ، فتخلصت من زوجها الكاذب ومن مديره ، وقالت له خرزة اكثر من سنتين يعيش وحده بعيدا عن البيت الذي يعيش فيه زوج أختها الثانية للعناية بأمهم وتلك الفاجرة كانت تتعيش في النادي وشقة للزوج الكذاب المحتال

ـ هل انتهى ما بينكم ؟

ـ اغلقنا الملف، وكان تركه لي سهلا لم يعاند أو يكابر ، وفهم الوضع أن يكون الزوج أخ لمجرمة

ـ إنها مأساة فعلا يا مديحة .. وماذا سيعمل المسكين ؟

ـ يستطيع العمل في شركة أو مصنع آخر ستنسى الناس القصة ، ويستطيع العمل كسائق تكسي قد اشتغل فترة في تلك المهنة وتعقد منها بسبب سرقة السيارة وهي في ضمانته واستخدمت للتهريب .. فخشي أن يتكرر الأمر ويصبح في قائمة المخدرات

ـ الله موجود لا ينسى عبيده

ـ نعم ، لا احد ينساه الله

ـ أنت كيف اخترتيه دون غيره من شباب المصنع ؟

ـ كانت موافقته على الزواج ممن هي اصغر منه سهلة ، وهو لم يتزوج قبل ، وهو غلبان كما ظهر

لي .. ولا يشرب الخمر ولا يعرف الزنا وصدقته وهذا يبدو صحيحا ؛ لأنهم بعد زواج أخته المزيف منعوه من دخول النادي فابتعد عنهم ، ولم يعرف بفجور أخته إلا من فتاة أخت صاحب له سقطت في الفخ مثل أخته .. وتلك الفتاة سبب طردها أصابها مرض جنسي وحبل وإجهاض فاضطرت للانتحار

ـ هذه الأماكن خطيرة وخبيثة يغلفون المتعة بالرقص والطعام

قالت ببرود : البلاد مليئة بمثل هذه النوادي الترفيهية باسم السياحة ودعم الاقتصاد لم يغلق النادي نهائيا بل عرض للبيع

***

اخبر خرزة شقيق فيروز بلقاء ليلي بينهما أنه ترك مديحة ؛ لأن أهلها انزعجوا من زواج أختهم من أخت قاتلة فقال سمحان : الناس معذورة يا خرزة .. وقد يكون لديهم أخلاق قذرة اكثر من ريحانة.. فسوف تعير أنت بينهم وهي ومن سيولد بينكما

ـ ادركت ذلك من اللقاء السابق معك وقلت انني سأضطر لتركها وهذا فعلته وسأضطر كما قلت للخروج من هذا البلد ؛ لأنني سأعاني من فعلتها وقبح فعلها وسيجفل مني الناس عندما يقال أخته قتلت اثنين

فقال سمحان : الغربة لابد منها بضع سنين .. ستنسى الناس قصتها

ـ كل جلسة محكمة ستعيد الصحف التذكير بالجريمة هذه تنقص وتلك تزيد

ـ مع أنك بعيد عن أفعال ريحانة

ـ اكثر الناس لا يعرفون ذلك يظنون أننا نسكن في بيت واحد وعيش واحد .. الأمر لنسيانه يحتاج لزمن .. وانا قبل الجريمة منذ علمت بانتحار فيروز وافكر بالرحيل وسأتصل بك على البيت عند السفر

ـ أتمنى لك كل توفيق .. أنت شاب غلبان أين يستقر بك المقام ؟

ـ سأسافر إلى تركيا أولا ومنها لدول البلقان وسأذهب تهريبا إلى المانيا الغربية

ـ ربما قريبا نسمع بعودة الشرقية للغربية هناك ثورات شعبية في برلين الشرقية وسيزول الجدار بينهم كما تحلل بعض المحطات الإذاعية والتلفزيونية

ـ سمعت

***

بُني جدار برلين في ١٣ أغسطس ١٩٦١ بواسطة ألمانيا الشرقية الشيوعية لمنع هجرة مواطنيها إلى ألمانيا الغربية ، وأصبح رمزًا لانقسام الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وفُتِح وأُزيل عام ١٩٨٩ بعد اضطرابات مدنية وسلسلة من الثورات في الكتلة الشرقية، ممهدًا الطريق لإعادة توحيد ألمانيا في ٣ أكتوبر ١٩٩٠

كان الهدف منه منع الهجرة الجماعية من ألمانيا الشرقية إلى الغرب الرأسمالي، وتجسيداً لـ"الستار الحديدي" خلال الحرب الباردة ، الستار الحديدي هو مصطلح يصف الحدود السياسية التي تفصل أوروبا إلى منطقتين جرى العمل به منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ حتى نهاية الحرب الباردة في عام ١٩٩١ .. يرمز المصطلح إلى الجهود التي بذلها الاتحاد السوفيتي لعزل نفسه والدول التابعة له من التواصل المفتوح مع الغرب ودوله الحليفة

استيقظت برلين في ١٣ أغسطس ١٩٦١ على صدمة بدء جيش ألمانيا الشرقية في بناء جدار عزلت برلين الغربية عن محيطها في ألمانيا الشرقية ، أطلقت الحكومة الشيوعية عليه اسم " جدار الحماية ضد الفاشية" ، بينما أطلقت عليه الحكومة الغربية اسم جدار العار ، كان الجدار حاجزًا ماديًا يرمز للانقسامات السياسية والأيديولوجية بين الشرق الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي والغرب الرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة ، فصل الجدار بشكل قسري العديد من العائلات والأصدقاء.. تأثرت ألمانيا الشرقية بسلسلة من الثورات في دول الكتلة الشرقية المجاورة مثل بولندا والمجر . . في ٩ نوفمبر ١٩٨٩ ، أعلنت حكومة ألمانيا الشرقية عن إمكانية زيارة مواطنيها لألمانيا الغربية وبرلين الغربية.. عبرت حشود من مواطني ألمانيا الشرقية الجدار واحتفلوا مع مواطني الغرب ، وبدأ الناس في تكسير أجزاء منه..مهد سقوط الجدار الطريق إلى إعادة توحيد

ألمانيا، التي حدثت رسميًا في ٣ أكتوبر ١٩٩٠ ، مثّل سقوط جدار برلين النهاية الرمزية للحرب الباردة

***

ودع خرزة امه واخته مليكة وزيادا وخص خاله عوني بزيارة وداع ، وطلب منه بيع البيت ؛ لأنه اذا وصل أوروبا لن يفكر بالعودة البتة ، ويضع المال في رقم حسابه البنكي ، ووعده الخال بفعل ذلك ، وسافر لتركيا كسائح ومنها للنمسا ، ومن النمسا زيارة لألمانيا ، وهناك سيختفي قدر المستطاع حتى يستطيع الإقامة الدائمة *وكانت المانيا تعيش في حالة فوضى واضطراب بسبب سقوط جدار العار أو برلين ، وكانت البلاد تستقطب المهاجرين بين حين وآخر لقلة المواليد الشرعيين في أوروبا ، في ألمانيا قانون الوضع القانوني للأطفال المولودين خارج إطار الزواج (الوضع القانوني) في عام ١٩٦٩ ، أو قانون عدم الزواج ، باختصار عزز قانون شؤون الأسرة الصادر في ١٦ ديسمبر ١٩٩٧ الحماية القانونية بشكل أكبر، ولكن ظل هناك عيب فيما يتعلق بالأطفال غير الشرعيين المولودين قبل عام ١٩٤٩ حتى في حالة الاعتراف بهم، لا يمكن أن يكونوا ورثتهم القانونيين .*

كشف مكتب الإحصاء الأوروبي أن ٤٣٪ من المواليد في الاتحاد الأوروبي سنة ٢٠١٦ ولدوا خارج إطار العلاقات الزوجية.. وعن الدول التي تصدرت قائمة الأطفال المولودين خارج إطار الزواج أوضحت البيانات أن نسبتهم في فرنسا بلغت ٦٠٪، وبلغاريا وسلوفينيا ٥٩٪، وإستونيا ٥٦٪، والسويد ٥٥٪، والدانمارك ٥٤٪، والبرتغال ٥٣٪، في حين بلغت النسبة في هولندا ٥٠٪.

يخرج الابن غير الشرعي للحياة مضطهدا من أعز الناس لديه ، ومحروم من العاطفة والحنان، يدفع ثمن خطأ غيره ، وبدلا من أن تتوجه نظرة المجتمعات المتحضرة لأبويه بالسخط والغضب على شناعة فعلهما ؛ فإنهم ينظرون لهذا الضيف القادم نظرة ليس فيها أدنى درجات الترحيب! ويبدأ مشواره حياته وسط هذا الجو المشحون بالتعبير عن الرفض والاحتقار

والكراهية، فيجد نفسه إما ملقى على أحد أرصفة الشوارع ، أو موضوعا بأحد صناديق القمامة، أو مرمي على عتبة أحد أبواب المنازل.. فإذا سنحت له فرصة الحياة ولم تنهشه الحيوانات الضالة؛ أو تخطفه إحدى العصابات التي تتاجر به لتبيعه بثمن بخس، أو تربيه ليس حبا فيه ولا شفقة عليه؛ وإنما لتستخدمه في تجارة المخدرات، أو الدعارة أو بيع أعضائه البشرية!

***

تمكن خرزة بمساعدة ممن أرسل اليهم للعمل في احد المصانع الألمانية بدون حقوق قانونية حتى يحصل على الوثائق الحكومية في يوم ما ، كانت الحيلة أن يتعلق بمواطنة المانية قانونية وتتزوجه فيصبح مواطنا المانيا ، ممكن الحصول على الجنسية في وقت مبكر في حال الزواج من مواطن أو مواطنة المانية .. يمكن تجنيس الزوج أو الزوجة بعد ٣ سنوات ، وتتمثل متطلبات ذلك في أن يكون الزواج قائماً لمدة عامين على الأقل ، وأن يكون الشريك الآخر مواطناً ألمانياً بالفعل.

فكان خرزة يسعى للزواج من مواطنة المانية تقبل به زوجا ؛ وليس شريك فراش ، وهذا الزواج القانوني ليس سهلا ، فهو لا يعرف شيئا من لغة الألمان ولا من لغة الإنجليز فسيحتاج لوقت حتى يتمكن من الاستقرار في الغرب .

***

طرد زياد

قررت مليكة زيارة سجن النساء ولقاء أختها ، فركبت سيارة ريحانة واشترت بعض الأطعمة المسموح إدخالها السجن ، وانطلقت لمكان قبوع السجن وكان هذا اليوم يسمح فيه بزيارة المساجين، ويكون اللقاء عبر شباك زجاجي توجد فيه طاقة لإدخال الهدايا ، ويكون قد تم تفقدها وتفتيشها قبل وصولها للسجين ، ارتفع اسم ريحانة هناك زيارة ريحانة عجيلي ، فتركت المهجع نحو قاعة الزيارات وتصافحن من هذه الطاقة ، وكانت هذه الزيارة الثانية لأختها جلسن قبالة بعض وقد تناولت السجينة أغراض أختها من الطعام والدخان ، ولم يكن هناك موضوع متماسك يتحدثن حوله ، من هنا فكرة ، وفكرة من هناك ، أخبار الأم ، لم تكن مليكة تسأل عن دوافع القتل ، فهي معروفة ونشرت في الصحف ، سألت عن أمها وأخبار خرزة فقالت : خرزة غادر البلاد

ـ ترك البلد !

ـ هاجر إلى أوروبا كما فهمت منه

ـ هرب

اقتربت امرأة من ريحانة وقالت : هذه أختك يا ريحانة

ـ نعم ، أختي مليكة ، هذه حلزونة يا مليكة

ـ لقب أو اسم حقيقي

قالت حلزونة : أهلا باخت ريحانة.. لقب .. أنت امرأة زياد عوني

ـ أنت من سكان سيدو عدنان

ـ عرفت ناسا من سكانه منهم زياد

قالت ريحانة: هذه المرأة تعرف زوجك

قالت : كيف ؟!

قالت ريحانة : حلزونة متزوجة ، وكانت مثلي في بيتها ، لأن زوجها هجرها .. وكانت تشتغل

بفلوس مقابل النوم معها ، وكان زوجك احد الزبائن

ـ معقول يا ريحانة!.. هل صحيح ما قالت ريحانة؟

قالت حلزونة : صحيح ونص .. كل الرجال خون

ـ قبل زواجي منه أم بعد !

ـ قبل وبعد .. أنا في السجن من شهرين فقط .. التهمة دعارة ومخدرات ؛ فكان زياد عوني زبونا وحتى لما تزوجك زارني عدة مرات .. هؤلاء يعشقون الحرام .. لا تستغربي من خيانة الأزواج

قالت ريحانة: لا تأمني لرجل ولو زعم انه شريف

قالت مليكة : أنا قبل زواجي منه سمعت وعلمت بفجوره أما بعد الزواج فأول مرة اسمع يا حلزونة .. أنت متأكدة انه زياد

ـ أنا لم اسكن في سيدو عدنان ؛ لكن كان لي زبائن منه وهو احدهم

ـ لعنة الله عليه اذا صح كلامك

ـ أنا قلت لريحانة عن علاقتي به لما عرفت أنها ابنة عمة زياد .. فلم تصدق ابتداءا مثلك حتى وصفت لها الرجل فقالت : هذه صفاته .. هل خلفت منه؟

ـ غير صالح للخلفة تعالج فترة دون فائدة .. فنسينا الموضوع خلفنا ولليوم ما خلفنا

ـ ماذا أحضرت لشقيقتك من الطيبات ؟

ـ ستعرفين منها .. بعض الأكل والسجائر وبعض المال

***

عادت مليكة للبيت محطمة نفسيا مما سمعت عن ابن الخال الغيور والشريف ، رآها مرة تتحدث مع بياع متجول فغضب ، ونهى عن ذلك مرة أخرى لأنه سمع البياع يصف فلانة بوصف سيء فلما جلست في البيت وعشت أمها وحدثتها عن زيارة ريحانة وتحياتها ، انتقلت لغرفة نومها حتى حضر زياد ولما سأل عن العشاء قالت ساخرة : علمت أن حلزونة عزمتك الليلة !

تطلع فيها وقال : من حلزونة ؟

قالت : امرأة اسمها حلزونة كنت تنام معها قبل أن تحبس مع ريحانة

ـ لا اعرفها ، ولا عمري سمعت بحلزونة .. ولا اعرف الكلام الفاضي .. حلزونة من هي حلزونة ؟ أين العشاء؟

ـ أرسلته لحلزونة عشيقة الصبا .. أنت تظنني حمقاء

ـ وأنت حمقاء بأن تصدقي سجينة بأنني عشيقها ..

قالت : تذهب معي للسجن نزور ريحانة وترى المهجورة حلزونة

ـ وهل اذا قالت اصدقها ؟..وهي تتربع في السجن تقول ما تشاء وتتهم من تشاء

ـ حسنا ! لقد وصفتك لأختي قبل أن أراها أنا فقالت ريحانة هو زياد ابن خالي كيف عرفتيه ؟

ـ كيف عرفتيه كلام فارغ ؟

ـ ليس كلاما فارغا أن اعلم أن عينك زائغة .. بس لم أتوقع بعد زواجنا أن تعود لبنات الهوى قلنا ستعقل وتترك الهمالة فأنت كنت معروفا في بيت خالي بذلك

ـ ولماذا قبلت بي ؟

ـ وهل ارفض طلب خالي ؟ وهو بمقام الوالد والعائلة لماذا لم تعترض أنت؟

ـ لأنني أحببتك وما زلت

ـ من يذهب لحلزونة ليس صادقا .. الذي يخون زوجته ليس صادقا

تظاهر بالغضب وخرج ساخطا ، فذهبت لبيت خالها ، وشكت له خيانة زيادة للفراش ، فصعب الأمر على عوني ؛ ولكنه صدقه فقد سمع مثل تلك الإشاعات من قبل من إخوان زياد ومن بناته فقال : أنا اعرف حلزونة أو سمعت باسمها ؛ لكني اعلم بأن زيادا لم يكن رجلا صالحا ؛ وإنما زوجته ليعقل كما نقول ويدع تلك الخبائث عندما يصير له امرأة مثل باقي الناس وانا ظننت أنه ترك هذه الأفعال القبيحة .. وكنت اعلم تعلقك به في فترة ما يا مليكة .. سأتحدث معه وآخذ منه عهدا بألا يفعل هذه الموبقات ، واذا لم يرتدع سنبعده عنك واطرده من البيت سمعتنا مهمة يا مليكة .. أعندك حل احسن من هذا ؟

انتظر عوني زيادا حتى حضر عند منتصف الليل فرحب به بصوت تهديدي ثم صرخ فيه : ألم تعاهدني لما زوجتك بنت أختي ألا تقرب مواخير البغاء ؟ لماذا خنت العهد والقسم ؟ البغايا في السجن يعرفنك يا حضرة التعيس .. عندك امرأة من اجمل بنات الشارع وتقضي شهوتك اللعينة عند بنات الليل .. لعل العقم أصابك منهن .

قال مستسلما للحقيقة : لم استطع التخلص منهن .. كن يهددن بفضحي ونشر علاقتي بهن

ـ كنت تظن أننا لا نعرف انحرافك وفسادك الأخلاقي ..يا لك من مخدوع ! .. يا لك من احمق وجبان !.. حلزونة تتحدث عنك لنساء السجن هذه اكبر فضيحة للعائلة كلها لا تقتصر على جنابك يا معتوه !

ـ نعم أنا احمق وجبان .. أعاهدك من جديد أمام هذه ـ وأشار لمليكة ـ لن أعود .. سأتعالج من العجز الجنسي .. أنا جننت بتركي الحلال للحرام ..

ـ كيف ستصدقك زوجتك ؟

ـ لا ادري كيف اثبت لكم انني سأتوب ؟

ـ أول خطوة من الشغل للبيت ولا خروج عدة شهور .. فاذا نجحت بهذا فهو إشارة انك ابتعدت عن العار هل أنت مستعد لذلك ؟ وانا سأساعدك بالعلاج من العقم ..

ـ راجعت كذا عيادة دون فائدة

ـ الإنسان يظل يبحث ويتعالج إلى الموت فلا يأس مع الحياة .. أسمعت يا مليكة اذا لم يلتزم بالبيت اخبريني ؟وانا سأظل اتصل بصاحب الورشة عن التزامه بالعمل طوال ساعات النهار وخرج كاسفا متألما بعد تعهد زياد بترك البغاء ، ولما خرج والده تشاجر معها وهدد بالطلاق فقالت : أنا افكر به ..لا تهددني أنت غير رجل .. حلزونة فضحتني في السجن تعني انني غافلة عن فجورك وعيشك مع البغايا يا فاجر .. لن أكون ضعيفة بعد اليوم .. لم اعد أثق فيك يا خائن الفراش

قام بضربها وأخذت بالصراخ : يا نذل تضرب امرأة يا حقير ..

سمع طرقا على الباب ففتحت فكان خالها فصاحت : ابنك الحقير ضربني ودبني على الأرض

قال زياد : جعلتني اغضب واعصب عليها

صفعه كفا قويا ، فهم زياد بضربه فصاح فيه : اضربني اضربني يا منحط .. اخرج من البيت خلاص سنطلقها أنت ابن فاسد .. تستقوي على امرأة .. لا ترفع يدك على الضعيفة حتى لو قالت عنك ما قالت

اخذ زياد علبة الدخان وقال : العيش معكم كالعيش في جهنم .. لم اعد أطيقها

ـ البغايا احسن لك .. اذهب أيها النجس القذر .. خرزة لم يفعل مثلك .. لم يقرب امرأة ، ولم يشرب خمرا مثلك

بعبع زياد بكلمات بصوت عال واختفى مبتعدا عن الشارع فقال عوني : سنفكر بالطلاق بشكل جدي يا مليكة ، ودخل غرفة أخته فقالت : لماذا كل هذا الصياح في ساعات الصبح ؟

ـ مشكلة بين زياد ومليكة

ـ ابنك مرة جلب امرأة هنا ليفجر فيها .. ظن انني نائمة ..وكانت مليكة في بيت خالتها لم احب أن أخبركم ؛ ولكن يبدو أن الكيل طفح يا عوني

ـ خلاص سأطلقها منه .. عفنه ظهر للعلن

صاحت مليكة بسخط : يا للعار يزني في بيتي ويستغل خروجي عند خالتي !

***

رفعت مديحة السماعة لترد على الهاتف فسمعت صوتا يقول : أنا سمحان صديق خطيبك خرزة

ـ أهلا سمحان .. خرزة ترك المصنع.. وأيضا انتهت خطبتنا بتركه المصنع .. هل من خدمة اقدمها لك ؟

ـ ارغب بالحديث مباشرة اذا ممكن ذلك

ـ ما موضوع الحديث ؟

ـ لا ينفع على التلفون .. لو جلسنا في مطعم أو فندق مقهى فندق

ـ ما عنوان الحديث ؟

قال : رغبني خرزة بالزواج منك

ـ الزواج مني ! أين خرزة اليوم ؟

قالت : سافر إلى المانيا .. ولما فسختم الخطبة بسبب جريمة أخته طلب مني أن أتقدم إليك

ـ عجيب ! ماذا تعمل أنت ؟

قال : ما كان يعمله خرزة في شركة أخرى

ـ لا افكر بالزواج يا سمحان

قال : لو جلسنا سوية قد تغيرين رأيك

قالت بدهشة : أغير رأيي .. أنا لما تركته قد خطبت غيره شكرا لتعاطفك

قال : شكرا أنا ابحث عن زوجة .. وخرزة يعلم ذلك لذلك لما تركك وسافر فكرت بها طلب مني قبل الحديث معك .. شكرا مبارك الخطيب

وضعت السماعة وهي تقول : هل جنت الناس ؟! يتركني الخطيب وينصح صاحبه بخطبتي .. أنا سمعت بهذا الاسم من خرزة من هو ؟ .. لقد ذكر أمامي اسم سمحان .. وهل أنا مخطوبة بعد خرزة ؟ لست مخطوبة لماذا لم اقبل رؤيته لعله هو نصيبي من رجال الدنيا ؟

قال شاب في المكتب : مالك تفكرين ؟

التفت اليه وقالت : احدهم يخطبني على التلفون ولا عمري رأيته

قال : وكيف عرفك ما دمتم لم تروا بعضا ؟

ـ خرزة لما تركني كما تعلم بعد جريمة أخته طلب منه أن يخطبني

ـ امر مضحك!

قالت : قمة الوقاحة والسخف

***

كان خرزة قد أوصى صاحبه سمحان على امه وأخته ، فهو لم يكن يجهل فساد زياد وفسقه فهو

خير من يعرفه ، وهو مثل خاله ظن انه بعد الزواج سيتحول لشاب صالح كما يحدث مع الكثير ممن عرفهم كيف صلحت أحوالهم بعدما صاروا أرباب اسر وذهبت فورة المراهقة والطيش ؟ فقبل سفره وهجرته أوصى الرجل على تفقد امه واخته ومساعدتها قدر الإمكان ، فرحب سمحان بالوصية فقرر زيارة بيت أم خرزة ليرى إن كانوا بحاجة لمساعدة وفي نفس الوقت يعلم منهم أخبار الغائب هل اتصل بهم ؟أو كتب لهم رسالة ؟ فله اكثر من شهرين في الغربة المرة ، رحبت به مليكة وجلست معه وأمها معهم ترحب به ، وشكرته عن سؤاله عنهم بتوصية من خرزة وقالت : منذ هاجر لم نعلم عنه شيئا ، ونحن لا يهمنا ذلك فقد كان يسكن بعيدا عنا ربما نراه في عدة شهور مرة ..

قال موضحا لأم خرزة : قبل سفره بأيام عرفني البيت وعرفني على السيدة مليكة ولم ندخل البيت وقفنا أمام الباب وقال يا مليكة سمحان صاحب جيد اذا احتجتم أي مساعدة فاتصلي به فلن يقصر .. ولما مضى كل هذا الوقت قلت ربما انتم في خجل من الاتصال بي وفي نفس الوقت قلت لعلي اجد عندكم خبرا عنه

قالت الأم : بارك الله فيك يا سمحان .. لم نسمع أي خبر .. واذا اتصل بك أو كتب لك طمئنا واذا اتصل بنا سنطمئنك على صديقك

ـ شكرا ووضع كوب الشاي وقال وهو يقف : ما أخبار الأخ زياد ؟

جفلت مليكة وقالت : أتعرف أنت زيادا ؟

ـ لا اعرفه ولكن شقيقك قال معذرة انه لا يعتمد عليه

قالت الأم : انه لا يعتمد عليه .. ما يقصد ؟

ـ قال أنا اعتمد عليك اكثر من ابن خالي يا سيد سمحان

قالت مليكة بدهشة : كل الناس تعرف زيادا إلا أنا .. شكرا لك !

وأوصلته للباب وأغلقته خلفه وهي تقول لنفسها : يا لي من هبلة ! لهذه الدرجة كان يستغفلني اللعين .. سينتهي ما بيننا قريبا لم يعد رجل البيت

حاول عوني مرة أخرى بترميم حياة ابنه مع مليكة ، فجلس معها ومع أمها سعيا لذلك فقالت الأم : والله يا عوني لم تعد مليكة تحبه بعد إهانته لها وضربها وبعد انفضاح امر فسقه وفجوره فالحياة ستكون صعبة بينهما .. فالأفضل يا أبا زاهي الطلاق ؛ لعلها تجد ابن الحلال وتلد منه فالبنت تكبر ولليوم بدون ولد أو بنت .. فزياد يجرب غيرها

ـ هذا كلامك يا مليكة أم هناك فرصة للإصلاح

قالت مليكة : أنا حسمت الأمر يا خالي ! لابد لي أن أرى مستقبلي .. وبعدما تبين لي سوء أعماله وقصت عليه قصة صاحب خرزة سمحان وما قاله عنه خرزة فقال عوني : أنا لا اعرف سمحان ولا أبا سمحان .. خرزة من جيل زياد فهو يعرف زيادا كما عرفناه نحن .. أنا ظننت بزواجكما صلاح ابني وظننت انه انصلح بعد الزواج وابتعد عن رفاق السوء .. لكنه كان يخدعني كما خدعك يا مليكة

قالت أخته : كنت تعلم ؛ ولكنك كنت تعيش على الأمل وانا لما جلب تلك الأنثى للبيت لم احب أن ادمر حياة ابنتي قلت لعلها أول مرة ، ولما سمعت ما قالته مليكة عند زيارة السجن صعبت عليّ عيشة مليكة مع رجل فاجر .. ولكني سكتُ وتركت الأمر لها ولك ..فحان الوقت أن تبحث عن زوج آخر يا أبا زاهي

ـ على كل معكم حق سنعمل على الطلاق ما دمتم ترغبون بذلك واخي الكبير لما سمع ذلك قال بذلك .. وزياد يا مليكة لا يملك شيئا من مؤخرك

قالت الأم : لا نرغب فيه

قالت مليكة : أموال ريحانة كفاية علينا

قال : هناك أموال خرزة لقد بعت البيت ووضعت الثمن في رصيده .. سيسمح لكم بالأخذ منها حينما يتصل أو يعود

***

ظلت مديحة تتعسس حتى استطاعت الحصول على رقم مصنع سمحان فقيل لها : نعم لدينا

موزع اسمه سمحان ... فاخبر سمحان باتصال امرأة اسمها مديحة به من مصنع الألبان فتذكرها فورا واتصل على مكتبها فردت عليه وبعد التحية اتفقا على لقاء في مقهى في ضاحية راقية تسمح بجلوس الرجال والنساء في المقهى لشرب الشاي والقهوة وغيرهما للثرثرة وتعاطي الأراجيل بنكهات مختلفة ، كان سمحان الساعة الثامنة مساء يجلس على مقعد يدخن احدى الاراجيل منتظرا فتاة المصنع .

***

الأرجيلة (أو الشيشة والنارجيلة) هي أداة لاستهلاك التبغ، تتكون من خرطوم ووعاء يحتوي على الماء، يتم فيه حرق التبغ الذي فوقه الفحم ، ثم يتم استنشاق الدخان بعد مروره بالماء عبر الخرطوم ، تُعد الأرجيلة أداة تقليدية في العديد من الثقافات ولها تاريخ طويل، لكنها أيضاً تشكل خطراً على الصحة ، تُعد الأرجيلة وسيلة للتواصل الاجتماعي والتجمع في المقاهي وفي المناسبات الخاصة، خاصة في منطقة الشرق الأوسط ، على الرغم من أن الماء يبرد الدخان ، إلا أنه لا ينقيه من المواد الضارة ، حيث أن دخان الأرجيلة يحتوي على نفس المواد المسببة للأمراض التي توجد في السجائر، مثل النيكوتين والقطران..يمكن أن يؤدي استخدام الأرجيلة إلى مشاكل صحية خطيرة، بما في ذلك أمراض القلب والجهاز التنفس



***

وصلت مديحة المقهى وبسرعة عرفت سمحان واقتربت منه قائلة : السيد سمحان

فقام مصافحا وقال مبتسما : أنا هو السيدة مديحة

ـ مرحبا بك تفضل بالجلوس

جلس وهو يقول : اطلب لك ارجيلة أم لا تستعملينها

نادت على احدهم فجاء المنادي يرحب بها ، فهي زبون عندهم فقال سمحان وهو ادرك ذلك منذ دخل : مقهاك المفضل

ـ تقريبا .. جلست فيه وصاحبك خرزة .. هل من أخبار عنه ؟

ـ لم يتصل ولم يكتب .. هو دخل المانيا بالتهريب .. فسيحتاج لوقت حتى يجد امرأة المانية تتزوجه ليحصل على الجنسية بالزواج منها

ـ سيجد .. كيف عرفتهم ؟

ـ لي عمر معهم ، أنا كنت متزوجا قبل أن اعرف خرزة ، ثم طلقتها ولم تلد لي والسبب كانت خائنة بصراحة ، وعرفت صاحبك خرزة من خلال ملهى أخته ريحانة، فأنا اعرف الملهى قبله وقبل أخته

ـ أنت شقيق الفتاة التي انتحرت فيه !

ـ قال لك خرزة ذلك .. أختي المسكينة استدرجت مثل ريحانة للعمل كخادمة ملهى ، ثم تورطت بالدعارة ، ولما مرضت جنسيا طردوها كالكلبة المنتهية الصلاحية إلى الشارع ثم صرت زبونا عندهم وعند بغاياهم بسبب طلاقي ، ثم تركت ذلك وتركت المخدرات، فكنت أوفرها لهم لأكسب منهم ، ولما انتحرت أختي في ملهاهم .. اغلق الملهى فترة ؛ ولكن أموالهم أعادته للعمل من جديد حتى كانت جريمة ريحانة أخت خرزة فنقلت ملكيته لفريق آخر وما زال يمارس فيه الرقص والحفلات وأما الدعارة فلا ادري ..

ـ حدثني خرزة بكل ما قلت عن أختك واخته .. ما موضوع الزواج ؟

ـ لما ترك صاحبك المصنع حدثني أنكم ابتعدتم عن بعض بسبب سمعة ريحانة وقتلها للقوادين في النادي وانه سيترك الديار فستبقى جريمة ريحانة تطارده إلى وقت غير معلوم وقال لي لأنني حدثته انني ارغب بالزواج فحدثني عنك وانك قد تقبلين بي ولا تتطلعين لشهادات وجامعات

ـ أنت أثرت فضولي بخطبتي .. وانا مثلك كنت متزوجة ومطلقة والأخ خرزة طاوعني بالزواج منه وأشهرت خطبتي له حتى يقل الغمز واللمز وسوء الظن من اقرب الناس إلي ؛ ولكن تلك الجريمة رغم براءته منها وبعده عنها عملت ضجة في المصنع والعائلة

قال : فهو كان يعذرك ؛ فليس سهلا أن تتزوج سيدة محترمة من شقيق قاتلة

قالت : هذا مربط الفرس السمعة للشخص وللعائلة .. وهل وجدت من تتزوجك ؟

ـ لا ، ما زلت دون امرأة وسوف اجد وأنت لماذا بحثت عني؟

ـ الفضول ليس اكثر أحببت التعرف عليك واستطعت الوصول إليك .. فربما لم احسن الحديث معك ذلك اليوم .. وانا لست مخطوبة بعد خرزة .. ولا استطيع الزواج منك لنفس أسباب تركي لخرزة .. فقصة أختك كقصة ريحانة

قال بفضول : ولماذا بحثت عني بصدق ؟!

ـ رغبت بمساعدك بالزواج

ـ كيف يكون ذلك وأنت ترفضينني ؟

قالت : تحدثت مع فتاة معروفة لي عن اتصالك المثير ووصية الخطيب.. فقالت عرفيني عليه لعلي اقبله بدلا عنك .. هذه القصة ؟

قال : صاحبتك تعمل معكم ؟

ـ لا ، اذا كنت تحب المعرفة بقصد الزواج سنجلس معا في هذا المقهى ونناقش الموضوع

ـ صفات أولية لها

قالت : كم سنك؟ أنت اكبر من خرزة

ـ عندي سبع وثلاثون سنة.. أنا اكبر من خرزة بخمس سنوات

ـ هي اصغر منك بسنتين

قال : مطلقة أم أرملة

ـ خطبت قريبا لها وسافر للعمل وبعد سنوات علمت انه تزوج في الغربة وأصبحت عانسا لم يخطبها احد من بعده ؛ ولعل السبب أن الناس ظنوها مخطوبة حتى كبر سنها

ـ أنا قبلت بالحديث معك لأن السيد تكلم عنك كثيرا فصرت كأنني أعرفك .. فيلزم أن أتعرف عليها بشكل صحيح وجيد حتى لا افشل في الزواج مرة أخرى

ـ سأتحدث معها عن حاجتك للجلوس معها خارج أي ارتباط

زواج سمحان

اخذ عوني زيادا لبيت أخته في محاولة أخيرة للإصلاح وذلك عن رغبة وتوسل الشاب لأبيه بإعطائه فرصة أخيرة للانصلاح ، فجلسوا في غرفة الاستقبال ، وقد قام زياد وربما لأول مرة بتقبيل يد عمته ورأسها ومعتذرا لمليكة عن ضربها تلك الليلة ، وزعم انه كان مرهقا ونصف صاحي فقد كان شاربا للخمر من ساعات قبل عودته ، وقال عوني : ما رأيك أم خرزة بإعطائهم فرصة لحياة جديدة والصلح خير من الطلاق

فقالت الأم : وهل انسى يا عوني كيف كان يستغل غياب البنت عند خالاتها ويأتي بنساء وبنات العهر ويمارسون الزنا في غرفة نوم ابنتي وهم يظنون انني نائمة لا اسمع وقاحتهم وقلة أدبهم يظنني عاجزة ولا حرمة عنده للبيت .. ونحن لا نريد الطلاق من اجل هذا العهر وحده ، نحن نريد طلاق البنت من اجل الخلفة .. المرأة لها سن معين وتضعف عن الحمل يا عوني

ـ سيعالج عند اشطر وامهر أطباء البلد

قالت مليكة بحزم : فات الأوان يا خالي .. كثيرا ما قلت له تعالج يا ابن الحلال حتى قال لي الطبيب خمسونيه زوجك لا ينجب حيواناته تموت قبل الخروج وهو يعرف ذلك فقلت له لا تيأس يا زياد ؛ لعل التشخيص فيه خطأ استمر في البحث عن العلاج .. أنا لا أريده بعد ضربي وبعد فسقه ولا أريد كما قلت المرة الماضية لا أريد مالا .. فليتزوج من عاهراته اذا القضية قضية عهر وقضاء رغبة .. أنا أريد الزواج من اجل الأطفال .. لماذا اصبر اكثر من ذلك؟

قال زياد بتذلل : فرصة يا بنت الحلال سأتعالج وسأعود من الشغل للبيت لن اسهر في قهوة ولا سينما ولا مباراة

قالت : أنا آسفة يا خالي .. لا داعي لهذه الفرصة .. أنا تحدثت مع محامية شرعية وقالت إن طلاقي سيكون سهلا مجرد وقت وإجراءات.. وفعلت ذلك مع الاحترام لأنك لم تحرك ساكنا والى متى ابقى معلقة ؟

قال عوني مبررا تقاعسه : كنت أرى أن هناك فرصة لبقاء البيت افضل من الطلاق وقد لا

تجدين زوجا بسرعة

قالت : سأجد بإذن الله أنا قدمت زيادا للقرابة بيننا والا كثير من الصديقات عرضن إخوتهن يا خال .. الرجال تملأ البلد كما النساء.. قدمت القرابة ووعدك لي

قام عوني وقال : كما تشائين يا نعيمة ويا مليكة .. وأنت يا زياد سهل عملية الانفصال وعليك بزوجة من صاحبتاك وتستحق ذلك ، لم تعرف مصلحتك وتحفظ شرفك وشرف عمتك وشرف زوجتك حتى اصبحن يتحدثن عنك في السجون

صاح زياد : هذه حلزونة كذابة وأرادت أن تخرب بيتي بزعمي عشيقا لها .. إنها تاجرة ممنوعات

قالت مليكة : ها أنت تعترف بمعرفتك لها لا كما زعمت بأول المشكلة بانك لا تعرفها أسمعت يا خال؟

قال : اعلم يا مليكة عنه اكثر مما تعلمين .. كنت أظن انك تعرفينه وتغضين الطرف لإدامة الحياة بينكم من اجل خاطر نعيمة .. وانا يا زياد بعد حدوث الطلاق لا أريد أن أراك في البيت حتى اسمع ويقال زياد تحول بعد فجوره إلى شيخ لا يقطع فرضا ولا يشرب خمرا

***

بعد أسابيع انتهت علاقة مليكة بزياد ، وحصل الطلاق القانوني ، وكان يوم فرح لمليكة رغم انه انفصال وطلاق ، وعليها الانتظار لانتهاء عدة الطلاق الشرعية ، وزياد استأجر عشة خرزة من صاحب العمارة ، وصارت هي بيته وقد دمر حياته بنفسه كما نقول ، ظن أن أسراره غير مكشوفة للناس خاصة الأهل والزوجة والعمة ، وعلم انه ارتكب جرما في حقهم ، وكان في حيرة من أمره هل يحقق امنيه أبيه بالتوبة والعودة إلى محراب الصلاة مثل فلان وفلان ممن عرفهم من الفساق ثم عادوا إلى الله أم يغرق في وحل الفساد والفواحش كما هو

تحدث سمحان مع مديحة بعد أيام من لقاء مقهى فينسيا فقالت : زدت الفتاة معرفة بك وبأخلاقك وبقصة أختك ؛ لتكون على بينة وعلمت أن لك أخا وأختا وحالهم جيد أختك متزوجة من رجل كبير في السوق واخوك مهندس مقاولات لماذا أنت غيرهم ؟!

قال : هذا انتم تتحرون عني .. أنا أمي كانت مهجورة .. فأبي كان سيئا معها يا سيدة مديحة فعاشت مع أخي المهندس .. وأختي منذ تزوجت للأسف لم تتعرف على أبيها ..وظللت أنا أرعاه مع أختي فيروز حتى توفاه الله بعد انتحار فيروز

قالت : نعم ، علمت انه ميت .. واختك نصحت الفتاة ألا تتزوج منك .. فلك ذكريات مع المخدرات والفاحشة فقلت لها عرفت ذلك منك وزعمت لي انك تركت تجارة المخدرات والتعاطي بعدما ذهبت عنك صدمة الطلاق وصدمة انتحار فيروز وتركت الدعارة

ـ لم اخف عنك شيئا فأنا حابب الزواج .. وأملك المال والبيت ، فكلهم رفضوا أي ميراث من وراء أبي ومن وراء فيروز .. كانت فيروز تملك سيارة من عملها في النادي وبعض المال فهم يغرقون الضحية بالمال.. والسيارة من اجل العمل والمال من اجل البقاء في أحضان الرجال .. فرواد هذه الأماكن من رجال الأعمال الأغنياء الكبار فهم يتعاملون بالعملة الصعبة بالدولارات فيدفعون للفتيات بسخاء فلهن الجزء الأكبر وللنادي قرب النصف من الليلة الماجنة ؛ وليست أجورهن بسيطة كما هن فتيات البارات .. من اجل ذلك يستغنى عنهن بعد فترة قد تمتد لخمس سنوات قد تزيد قليلا .. فبعض الزناة يطلبون نفس الفتاة حتى يملون منها

ـ لقد خبرتهم جيدا

ـ كنت أزودهم بالمخدرات يا سيدة مديحة استفيد وهم يستفيدون واخذ بعض الجرعات والإبر فهم يكسبون كثيرا من بيعها ؛ ربما أضعاف مضاعفة مما اكسبه أنا .. على كل لنبقى على اتصال فاذا كان لي نصيب بالطيبات تحقق المطلوب فلي سنوات ابحث

ـ ولا يهمك يا معلم سمحان كيف وجدت مقهى فينيسيا ؟

ـ مقهى فخم وماذا أقول عنه ؟ أنا مستواي اقل منه وهو في حي الأجانب كما نقول

ـ أتشرب يا سمحان ؟

ـ على الخفيف كان الصداع يقتلني اذا أكثرت منها ؛ وربما اذا تزوجت تخلصت منها نهائيا

***

كان سمحان يتوقع فشل مشروع مديحة لأنها لم تكن تعرفه جيدا ، لتنقل لصاحبتها الصورة بشكل جيد ، أما لما قابلته وفهمته فتغير رأيها فيه ، ولما علمت عن أخته وأخيه وربما عن امه عرفت من هو اكثر ، ولابد أن صاحبتها لم تعد ترحب بالزواج من سائق مصنع مثله ذو دخل بسيط .. لم تعرف انني املك بيت أبي واصبح ملكا لي وحدي وسيارة فيروز أصبحت ملكي بموت فيروز وانا الذي ورثت ما معها من أموال الملهى ، تلقى اتصالا من مليكة ترغب باللقاء به ، فركب سيارة فيروز إلى شارع الجزائر في شارع سيدو عدنان ، فاستقبل في البيت وبينما هو يشرب الشاي حضرت أم خرزة التي رحبت به وسألته عن خرزة هل اتصل به هل كتب له ؟ فقال : أنا المفروض أن أسأل هذه الأسئلة فأنتم اقرب له مني ؟نحن بدأت صداقتنا في ملهى ريحانة هو ابتعد وانا ابتعدت وبقينا أصدقاء نرى بعضنا بعضا إلى أن قرر الهجرة .

ولما سأل عن زوج مليكة أخبرته الأم بانفصالها عنه وعاد لبيت أبيه وذكرت بعضا من سيرته الماجنة وعجزه عن الخلفة طوال سنوات الزواج العشرة فقال معلقا : أنت اليوم صرت مطلقة يا مليكة ؟

ـ أنا مثلك مطلقة .. وأعيش بها يسمونه العدة حتى يسمح لي بالزواج من جديد

ـ اعرف اعرف قصة العدة والشريعة .. أنا بصراحة ابحث عن زوجة يا أم خرزة

ـ وستبحث مليكة عن زوج محترم

قال متشجعا : فلتفكرين بي يا مليكة .. أنا سأكون سعيدا إن تزوجنا أنا لم انجب من زوجتي ولا اعرف هل العوق مني أو منها ؟

قالت : والله أنت طيب وشهم ما دمت تهتم بنا عن وصية خرزة المهاجر والزواج منك نعمة ومكسب ؛ ولكننا نجهلك ولا نعرف عنك شيئا إلا انك صديق خرزة ويثق بك خرزة

فحدثهم عن نفسه وعن خطيبة خرزة في مصنع الألبان وكيف شجعه على الزواج منها ؟ وأن له أختا انحرفت مثل ريحانة وختم قائلا : أنا لدي بيت ورثته عن أبي .. وأمي على قيد الحياة وهي التي هجرت أبي ولم يتطلقا ؛ لكنه مات فهي أرملته وتعيش مع أخي الكبير وذكر اسم الحي

الذي يعيش فيه ثم قال : يمكنكم الاستفسار عني .. كنت فاسدا ولكن لي سنوات أسير على الطريق المستقيم والزواج تجربة قد تنجح وقد تفشل يا أم خرزة ..اذا رغبت بي يا مليكة فانا اقبل بك زوجة ..

ـ وأين ستعيش ؟

ـ في بيتي .. بيت والدي اكبر من هذا البيت وسيكون لنا عشنا ولامك غرفتها ولن اقصر معها وانا ورثت بيت أبي وماله ، فكل الورثة تنازلوا عن كل شيء ؛ وحقيقة لا اعرف تفاصيل هجرة أمي عن أبي ولماذا لم تتطلق ؟ قبل زواجي كان أبي يعمل في نفس مصنعي ثم زعل من شركاء المصنع وسحب حصته ورقد في البيت وتعرض لازمات قلبية وجلطات حتى فارق الحياة وقمت أنا وفيروز دون إخوتي به في آخر سنوات عمره

قالت مليكة : ظل للعدة شهر واحد يا سمحان لما تنته العدة الشرعية سأتصل بك إما للزواج وإما للاعتذار ما دمت قد كنت صديقا لخرزة وأوصاك على الاهتمام بنا فأنت ثقة عندنا ومقبول لي ؛ لكن عليك تحمل انقضاء مدة الشهر

ـ جيد يا سيدة مليكة !.. أنا راغب بالعيش حياة صالحة مع أخت صالحة .. فحياتي قبل معرفتي بخرزة كانت حياة فلتان وسكر وعربدة ؛ ولكن لي فترة احسن من الماضي واحتاج إلى زوجة جيدة نعيش باقي العمر بسلام ومحبة ؛ لعلها تكون معك أنت

قالت الأم : الأمر بيد الله .. اذا اتصل بك ابني العاق فقل له يتحدث معنا

ـ المشكلة يا خالتي أنا لا اعرف أصدقائه ، ولم تتح لي فرصة لأعرفهم لأعرف ما أخباره منهم ولا حتى من رافقه للوصول لألمانيا

ـ هو في المانيا

ـ هكذا قال سافر لتركيا بالطائرة ومنها لأوروبا ليدخل المانيا خلسة حتى يتزوج المانية الأصل فيحصل على جنسيتها هكذا كانت الخطة بس لا اعرف من رافق

ـ نحن منك نعرف أن وجهته المانيا نحن سمعناه يودعنا للسفر لأوروبا

ـ أوروبا دول كثيرة شرقية وغربية ولكنها هذه الأيام توحدت وانفكت عن روسيا اللعينة

***

ذهبت مليكة للسجن كزيارة عادية ثم لهدف آخر وهو السؤال عن سمحان بما انه يعرف ريحانة وكالعادة لما تحضر ريحانة للمقابلة تتبعها حلزونة فلما رأتها مليكة قالت لها : طلقت صاحبك زيادا وهو في انتظار خروجك

فقالت بحماس : صحيح تخلصت منه

ـ صحيح اصبح بدون زوجة ولا ادري مع من يعيش من صاحباتك

ـ اغلب صاحباتي هنا في السجن .. عمل جيد انك خلصت منه .. فانت اشرف منه كان يضحك عليك

قالت ريحانة: كيف أمي ؟

ـ على ما هي عليه .. تعرفنا على شاب صديق لخرزة اسمه سمحان كان زبون الملهى مع أخته التي اسمها فيروز

ـ اعرفها كيف تعرفتم عليه ؟

ـ هو تعرف علينا بوصية من خرزة قبل هجرته أوصاه على الاهتمام بنا

ـ خرزة اللعين أوصاه على رعايتكم

ـ نعم ، وافكر بالزواج منه بعد خلاصي من زياد

ـ أنا لا اعرفه الصحيح جيدا .. كان يورد للمخدرات للنادي وكان يأخذها وبعد حادث انتحار أخته فرط بيعها لنا وسمعت انه ترك تعاطيها .. هي كانت مصدر دخل إضافي له .. هو سائق سيارة توزيع في مصنع .. وكان يأتي للمخدرات وللدعارة هذا ما عرفته عنه ، لكنه لم يقربني ليس احتراما لجسدي ، فلكل فتاة سعر خاص يا مليكة .. فهو لم يكن يدفع كثيرا هو ليس رجل أعمال كان يتسلى مع بعض الفتيات بأجرة بسيطة من اجل استمراره في بيع المخدرات .. لا ادري هل زواجك منه مناسب أم لا؟ لأني تعرفت على أخته بعد توقف عملها في الملهى ..

وعلمت أن سبب حضوره للهو والبيع طلاقه من زوجته ، فتأتي به أخته للزنا والمخدرات حتى بعد انتحار فيروز سبب فضيحة للنادي ، واغلق فترة ثم عدنا للعمل القبيح .. فالزواج منه يرجع لك هذا ما اعرفه عنه ، وما دمت تخلصت من زياد فجربي معه ؛ لعلك تحملين منه احسن منه ومن معالجة زياد واحسن من سمحان نفسه .. أنت عليك بحسم الأمر .. هذه المعلومات التي اعرفها .. وما موقف خالك من الطلاق؟

ـ كان يأمل أن نبقى زوجين ولكني أصررت على الطلاق وكذلك أمي من اجل الخلفة

ـ فليكن هذا هدفك الأكبر من زواجك من سمحان أنا كما تعلمين علاقتي طول عمرها مع خرزة معقدة وتعيسة .. كان يراني عاهرة لا اكثر ، وفعلا أنا كنت عاهرة اعشق الرجال ولا اسمع نصيحة ، وقد احكم بالمؤبد كما قال لي محامي المحكمة .. فقلت له الموت اشرف لي وافضل من المؤبد لا أريد الحياة .. كانت غلطة كبيرة إنني لم اطلق على نفسي رصاصة وارتاح

***

حسمت مليكة أمرها وأرسلت لسمحان موافقتها على الزواج منه ، فقدم إليها وبعد حوار رحب بقبولها له كزوج وسعد بالموافقة ولما تخلص العدة يبدأ بترتيب امر الزواج الذي سيكون بدون فترة خطبة وانتظار ، فقبلت مليكة ترتيبه ، وقامت بزيارة بيته مع أمها وقالت : لا تحتاج لتغيير المطبخ فمحتوياته جيدة وسأنقل من بيتي ما يلزم لي ولأمي.. فقط عليك بتغيير فراش سرير النوم والخزانات وطاولة الزينة لا داعي لتجديدها

ـ أنت متساهلة

ـ ما زالت جيدة ومناسبة

قال : على كل مع الوقت سنغير بموديلات جديدة وحديثة .. سأقوم ببعض الدهان لغرفة النوم والمنزل عامة .. ولن يستغرق الأمر سوى بعض الأيام فتكون عدتك انتهت لأن الكاتب أو العاقد لا يكتب العقد والعدة لم تنته

ـ اعرف كيف يا أمي البيت ؟ وكيف غرفتك ؟

ـ الله يوفق ويتمم على خير يا سيد سمحان

***

قال احدهم لسمحان سيدة على الخط فانتقل للهاتف على مكتب احد المدراء في المصنع فسمع صوت مديحة تحييه فرحب بها من طرفه وقالت : ما أخبارك ؟

ـ بكل خير وأنت !

ـ مثلك لعلك تذكر انني حدثتك من اشهر عن صاحبة لي قد تقبل بك زوجا وأنت طلبت الجلوس معها لمزيد من التفاهم والمعرفة

ـ نعم اذكر ولم تذكري اسمها أو عملها

ـ نرغب أنا وإياها باللقاء معك في فينيسيا أو أن تلقانا بفينيسيا

قال : اعتقد يا سيدة مديحة أن الوقت قد فات وتأخرتم في الرد

تنهدت وقالت : معك حق ! هل وجدت عروسا خلال هذه المدة ؟

ـ الحمد لله وجدت من تقبل بي قرينا .. وفعلا صاحبتك تأخر قبولها حتى على التعارف ؛ ليس على الزواج

ـ لا يسعني إلا أن أقول ألف مبارك يا سمحان .. نعم تردد رفيقتي تأخر اكثر من اللازم وصدق لا اعرف السبب على كل حال اذا حدث أي إشكال بينك وبين فتاتك أنت تعرف تلفون المكتب

ـ إن شاء الله تمشي الأمور كما خططنا لها .. فالفتاة طيبة ومقبولة في نظري .. لا ادري هل تعرفينها بما انك كنت خطيبة خرزة ؟

ـ هل هي قريبة له ؟

ـ هي أخته المحترمة الأصغر منه اسمها مليكة

قالت : عرفتها يوم الحفلة ـ حفلة الخطوبة ـ هو له اختان المجرمة المعروفة لك والأصغر منه مليكة ، ولكنها كانت مع زوجها وخالها وحتى زوجها كان على ما اذكر ابن خالها واسمه زياد فالأخت الكبرى لهما لم اعرفها ولم تحضر حفلة خطبتنا هل طلقت ؟

ـ نعم طلقت من فترة والذي يؤخر زواجنا آخر أيام العدة .. نعدها بالدقيقة والساعة طلقت هي زياد وقبلت بي زوجا لها وستعيش في بيتي الذي ورثته عن أبي رحمه الله

ـ لقد كان والدك احد شركاء المصنع الذي تعمل فيه .. فنحن أبناء السوق نعرف أحيانا أخبار بعض .. هل أنت شريك أم مجرد سائق؟

ـ أنا سائق ولكن حصة أبي نصفها تحول لي .. فأبي سحب نصفها للعلاج ؛ لأن الوالد بعد مشاكله مع الشركاء تعرض لعدد من الجلطات حتى مات على اثر انتحار فيروز

ـ أنت طيب يا سمحان وصريح .. مبارك عليك الزواج واذا حصل أي خلل تحدث معي

ـ شكرا هل ندعوك للحفل أم لا ؟

ـ لا ، لا ، سأبارك لك بعد الزواج ؛ وربما تتاح لي فرصة بزيارة والتهنئة بالبيت

ـ أهلا وسهلا

***

احتفل سمحان بزواجه الجديد في صالة فندق ، فهو يملك الأموال ولم ينفق كثيرا على أثاث البيت ، وحضرت أمه الأرملة حفل الزواج وكذلك أخته وأخوه وتمنوا له النجاح معها والا يفشل كما فشل في زواجه الأول مما سبب لأبيه مشاكل مع بعض شركاء المصنع .

وطلبت أم خرزة من أخيها عوني أن يسكن احد أبنائه بيتها ما عدا زيادا ، فقبل عوني الأمر شاكرا لها الأمر ، ولم يطل انتظار مليكة فبعد شهور تحقق حلمها بالحمل دون أدوية وفرحت أمها لها فرحا كبيرا

تمت بحمد الله

المحتويات


{هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ}

قصص شارع سيدو عدنان

١
لعلهم خدعوك

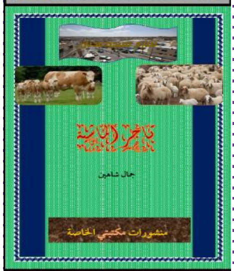




٢
غربة مهرب

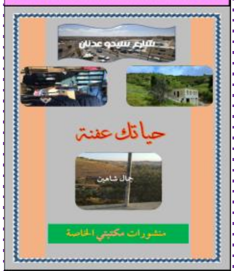
٣
زوجتك ابنتي





٤
تاجر الماشية

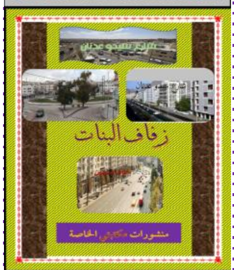
٥
حياتك عفنة

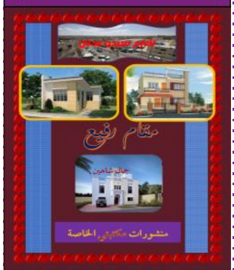




٦
عودة مهاجر

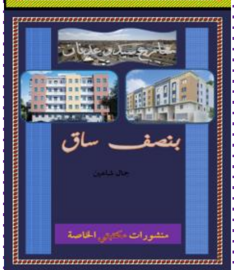
٧
زفاف البنات





٨
مقام رفيع

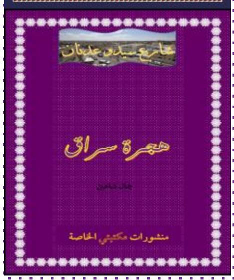
٩
بنصف ساق





١٠
ميراث البحار

١١
هجرة سراق





١٢
عضو البرلمان

شارع سيدو عدنان

١١

أول مرة رأيته كانت في الملهى الليلي حيث أذهب مع شقيقتي فيروز لبيع المخدرات وممارسة الفاحشة رأيته يتقرب لأختي كأي رجل تعجبه فتاة تسهر وتسكر ثم علمت أن أخته فتاة ملهى وليل حيث نلهو، ثم علمت وكلي



دهشة من فيروز انه لا يعلم وظيفة شقيقته في الملهى، وحدثت سرقة ذات ليلة فطرد خزة من الملهى متهما بها، ثم تكشفت أسرار الملهى له، فلم يتأثر كثيرا بأخبار أخته الماجنة كما حصل معي، ثم حدث أن انتحرت أختي فيروز في جوف الملهى والنادي الليلي غير مأسوف عليها، والأشد أن شقيقة خزة انتهى عملها السيء في النادي كأي فتاة ملهى فلم تتقبل الأمر كما تقبلته فيروز فقتلت من استغلها كزوج أمام الناس وقتلت مالك النادي معه .. فهاجر خزة الى أوروبا وانقطعت أخباره ثم التقيت شقيقته الصغرى عن وصية منه حيث تركت ابن خالها فتزوجتها وسعدت بها ... سمحان

٢٠٢٥